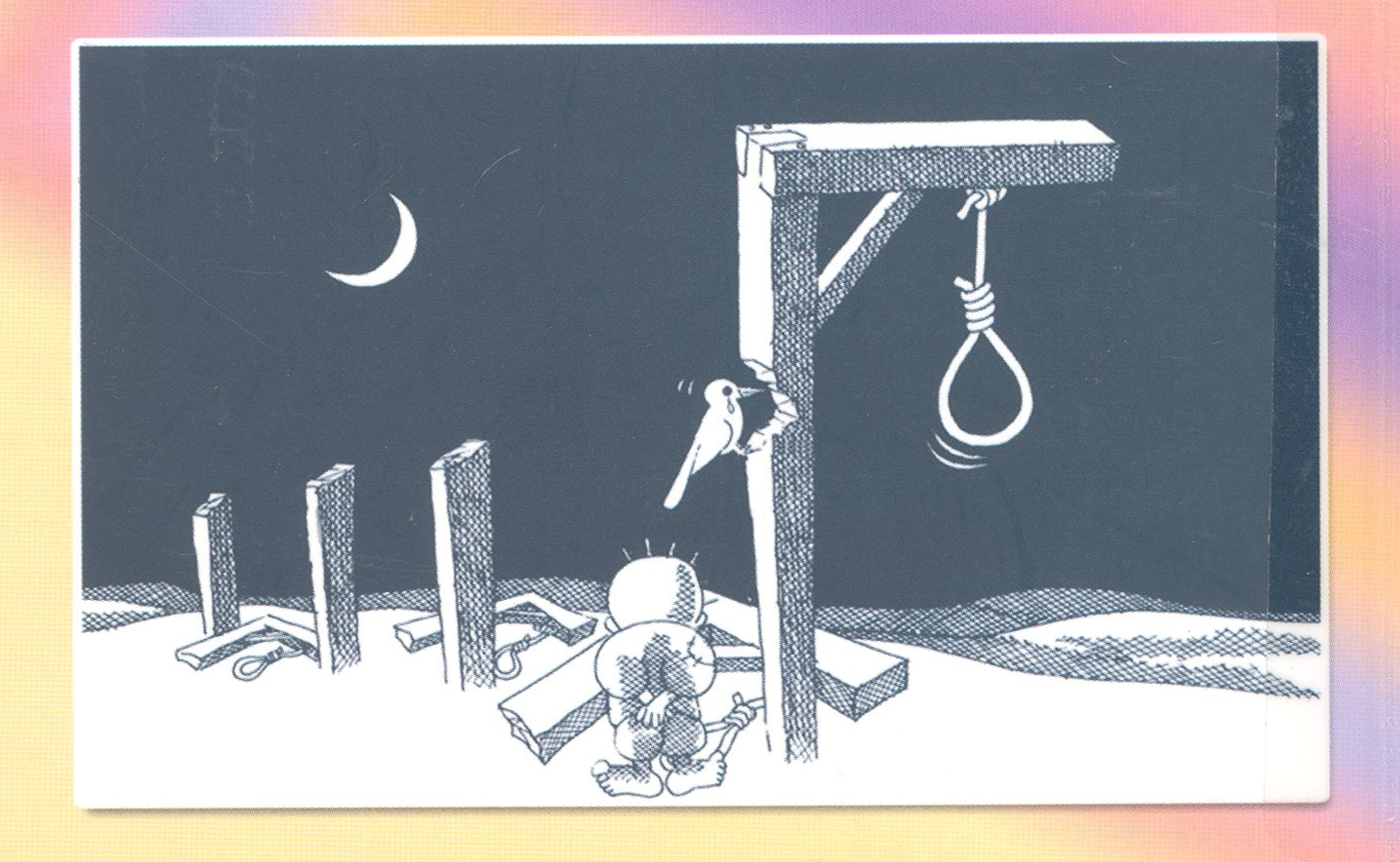
المجمع المقدس للعقيدة الإيمانية



وثيقة
"الحرية المسيحية والتحرير"

ترجمة الأب: وليم سيدهم اليسوعى



وثيقة

الحرية المسيحية والتحرير

المجمع المقدس للعقيدة الإيمانية

وثيقة

الحرية المسيحية والتحرير

الطبعة الثالثة

٢٠٠٢

ترجمة : الأب/ وليم سيدهم اليسوعي

مقدمة المترجم

النص الذي بين يديك هو ترجمة وثيقة هامة صدرت عن الڤاتيكان وتدور حول (لاهوت التحرير) وموقف الكنيسة الكاثوليكية الرسمي من هذا اللاهوت.

والمعروف أن (لاهوت التحرير) تيار يتبناه بعض المفكرين من رجال الكنيسة في آمريكا اللاتينية وآثر تأثيراً كبيراً على اتجاهات المسيحيين في هذه البلاد. وقد ظهر هذا التيار اللاهوتي عام ١٩٦٨ واتخذ أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة. ومن أبرز ممثليه الأب جوتييريز GUTTIE-REZ والأب ليوناردو بوف LEONARDO BOFF وتميز هذا اللاهوت منذ بدايته بأنه آثار جدلاً واسعاً حوله، داخل الكنيسة وخارجها، نظراً لتأثره بالاتجاهات الماركسية وارتباطه بالظروف السياسية والاقتصادية الصعبة التي تعيشها قارة أمريكا اللاتينية.

ونظراً لأننا ننتمي إلى العالم الثالث مثل آمريكا اللاتينية. كما أننا ننتمي إلى الكنيسة الجامعة، فلابد لنا أن نتعرف إلى التعليم الرسمي للكنيسة الكاثوليكية في مثل هذه المسألة الهامة وهي مسألة (التحرر والتحرير).

الوثيقة التي ننشرها هي آخر الوثائق التي صدرت في هذا الشأن من الفاتيكان، وذلك في ٢٢ مارس ١٩٨٦ عن رئيس (مجمع العقيدة الإيمانية) الكاردينال راتسينجر RATZINGER.

القاهرة في مايو ١٩٩٠

الحرية المسيحية والتحرير
تعليم من (مجمع العقيدة الإيمانية)

الحق يحررنا

المقدمة:

(١) تطلعات إلى التحرير :

إن الوعي بالحريّة وبالدراما الإنسانية إلى جانب التأكيد على الحقوق الضرورية للشخص وللشعوب، أصبح من الملامح الكبرى لعصرنا الحاضر.

إلا أنّ الحريّة تتطلب شروطاً تختص بالنواحي الاقتصاديّة، الاجتماعية، السياسية، والثقافية حتى يصبح من الممكن ممارستها كاملة. إن الإدراك الحيوي للعقبات التي تمنع الحرية من الانتشار والتي

تهين الكرامة الإنسانية هي أساس التطلعات القوية للتحرير التي تشغل بال عالمنا الحاضر.

إن كنيسة المسيح تنسب هذه التطلعات إليها في الوقت الذي تمارس فيه تمييزها على ضوء الإنجيل الذي هو بطبيعته رسالة حرية وتحرير. فبالفعل، هذه التطلعات تتخذ أحياناً، على المستوى النظري والعملي، تعابير لا تطابق دائماً حقيقة الإنسان كما يبدو على ضوء خلقه وفدائه. لذلك فإن المجمع المختص بعقيدة الإيمان رأى من الضروري أن يلفت النظر إلى (الانحرافات أو أخطار الانحراف، المخربة للإيمان والحياة المسيحية) (١) فإن هذه التحذيرات تبدو دائماً أكثر فائدة ولياقة، لأنها لا تزال قائمة.

(٢) هدف التعليم :

إن تعليم "الإعلان عن الحرية" Libertatis nuntius بخصوص بعض أوجه لاهوت التحرير كان يعلن عن نية المجمع لنشر وثيقة ثانية، قد تضع بوضوح العناصر الرئيسية للعقيدة المسيحية عن الحرية والتحرير.

وهذه الوثيقة ترد على هذا المطلب وتعبر عن هذه النية. وبين الوثيقتين توجد علاقة عضوية فيجب قراءتها الواحدة على ضوء الأخرى.

فعلى موضوعها الذي يعتبر في قلب الرسالة الإنجيلية أعلنت سلطة الكنيسة عن رأيها في مناسبات مختلفة (٢) تتلخص الوثيقة الحالية في

أنها تشير إلى الأوجه الرئيسية، النظرية والعملية، لكل ما قالته السلطة الكنسية في هذا الشأن. أما ما يخص التطبيقات الخاصة بهذه الوثيقة في مختلف الظروف المحلية، فإنه يجب على الكنائس المحلية باتصالها مع بعضها البعض وباتصالها مع كرسي بطرس أن تعالجها مباشرة (٣).

إن موضوع الحرية والتحرير له أهمية مسكونية واضحة. فهو، وبالفعل ينتمي إلى الإرث التقليدي للكنائس والجماعات الكنسية. أيضاً يمكن لهذه الوثيقة أن تساعد كل رسل المسيح المدعوين للإجابة على التحديات الكبرى لعصرنا الحاضر بشهادتهم وعملهم.

(٣) الحق الذي يحررنا :

كلام المسيح "الحق يحرركم" يو ٨/٢٢ يجب أن ينير ويقود في مجالنا هذا كل تفكير لاهوتي وكل قرار رعوي. هذه الحقيقة التي تأتي من الله مركزها يوجد في يسوع المسيح، مخلص العالم (٤) منه هو "الطريق والحق والحياة" يو ١٤/٦ الكنيسة تستقبل ما تقدمه للبشر. في سر الكلمة المتجسد والفادي للعالم، تستقي حقيقة الآب وحبه لنا كما تستقي أيضاً حقيقة الإنسان وحريته.

فالمسيح، بصليبه وقيامته، صنع فداءنا الذي هو تحررنا بكل ما لهذه الكلمة من قوّة المعنى، إذ إن الفداء حررنا من الشر الجذري، أي من

الخطيئة وسطوة الموت. وعندما تصعد الكنيسة المتعلمة من سيدها، صلاتها نحو الآب: "نجنا من الشرير"، فإنها تتوسل إلى الله حتى يعمل سرّ الخلاص بقوة في وجودنا اليومي. وهي تعلم أن الصليب الفادي هو بحق موطن النور والحياة وهو مركز التاريخ. إن المحبة التي تتحرق في الكنيسة تدفعها إلى إعلان الخبر السار الذي توزع منه بواسطة الأسرار المقدسة الثمار المحيية. إنه من المسيح الفادي ينشأ تفكيرها وعملها، حينما تفكر في معنى المآسي التي تمزق العالم، وتبحث عن الطرق التي تؤدي إلى التحرر وإلى الحرية الحقيقية.

الحقيقة، ابتداء من الحقيقة الخاصة بالفداء، التي هي في صلبه سرّ الإيمان، هي أصل الحرية وحجر أساسها وهي الأساس والمقياس لكل فعل محرِّر.

(٤) الحقيقة شرط للحرية :

إن الانفتاح نحو كمال الحقيقة يفرض نفسه على الضمير الأدبي للإنسان، فيجب أن يبحث عنها وأن يكون سريع الاستقبال لها حينما تتقدم له.

بحسب أمر السيد المسيح (٥)، الحقيقة الإنجيلية يجب أن تقدّم لجميع الناس. إن إعلانها، بقوة الروح يحتوي الاحترام الكامل لحرية كل شخص ويبعد عن كل شكل من أشكال الضغط والقهر (٦).

الروح القدس يُدخل للكنيسة ولرسل المسيح يسوع في الحقيقة بكاملها يو ١٦/١٣. فهو الذي يقود مجرى الزمن و يحدد وجه الأرض مز ١٠٤/٣٠ إنه هو الشخص الموجود في تحوّل الضمير حينما يكون أكثر احتراماً لكرامة الشخص البشري (٧) الروح القدس هو منبع الشجاعة، والإقدام والبطولة. حيث يوجد روح الرب، هناك توجد الحرية ٢ كور ٣/١٧.

الفصل الأول

موقع الحرية في عالم اليوم

أولا: إيجابيات الاجراءات الحديثة للتحرير وسلبياتها التمهيدية:

(٥) تركة المسيحية :

إن إنجيل يسوع المسيح، الذي كشف للإنسان صفته كشخص حرّ مدعو للدخول في علاقة خاصة مع الله، آثار وعياً عميقاً لدى الإنسان بحريته البشرية، لم يكن حتى ذلك الحين في حيّز التفكير.

هكذا فإن البحث عن الحرية والتطلع إلى التحرر، اللذان يعتبران من العلامات البارزة لعصرنا، يجدان أصولهما الأولية في الميراث المسيحي. وهذا يظل صحيحاً حتى في الأماكن التي يتخذان فيها أشكالاً مشينة لدرجة تعارضهما مع النظرة المسيحية للإنسان ومصيره بدون هذا المرجع إلى الإنجيل. فإن تاريخ الأجيال الحاضرة في الغرب يبقى عسيراً على الفهم.

(٦) العصر الحديث :

منذ فجر العصور الحديثة، عصر النهضة، فإن الرجوع إلى العصور القديمة في الفلسفة وعلوم الطبيعة، كان الظن أنها ستسمح للإنسان بأن يكتسب حرية الفكر والفعل، بفضل المعرفة والسيطرة على قوانين الطبيعة.

من جهة أخرى فإن لوثر. انطلاقا من قراءته للقديس بولس، أراد أن يكافح من أجل التحرير من عبودية الناموس، كما كانت بحسب رأيه، تصورها الكنيسة في وقته.

ولكن المطالبة بالحرية دوّت بكل قوتها خاصة في عصر الأنوار والثورة الفرنسية. فمنذ ذلك الحين. وكثير من الناس ينظرون إلى مستقبل التاريخ وكأنه عملية تحررية لا تقاوم، وأن هذا سيصحبنا إلى لحظة تاريخية بحيث يصبح الإنسان حراً بشكل نهائي متمتعاً أخيراً، وعلى هذه الأرض. بالسعادة التي كان يحلم بها.

(٧) نحو السيطرة على الطبيعة :

في إطار أيديولوچية للتقدم. مثل هذه، فهم الإنسان أنه سيصبح سيداً للطبيعة، والعبودية التي كانت حتى ذلك الوقت من نصيبه، كانت ترتكز على الجهل والأفكار المسبقة، فبانتزاع أسرار الطبيعة فإن الإنسان سيخضعها لخدمته. والحصول على الحرية أصبح إذن الهدف الذي يتابع البحث عنه من خلال نمو العلم والتكنولوچيا. والملاحظ أن المجهودات المبذولة أدّت في النتيجة إلى نجاحات عظيمة. فإذا كان الإنسان بمأمن من المصائب الطبيعية فلأن كثيراً من هذه الأخطار قد أُزيل. الطعام أصبح مؤمناً بالنسبة لعدد متصاعد من الأفراد، وسائل المواصلات والتجارة تشجع تبادل الموارد الغذائية والمواد الأولية، وقوة

العمل والقدرات التكنولوچية، مع كل هذا أصبح وجود إنسان مُكرّم وخالص من الشقاء يمكن بشكل معقول أن يواجه من أجل الكائنات البشرية.

(٨) المكاسب الاجتماعية والسياسية :

إن الحركة الحديثة للتحرير حدّدت لها هدفاً سياسياً واجتماعياً كان عليها أن تضع حداً لسيطرة الإنسان على الإنسان وتحرك عملية المساواة والأخوّة بين كل البشر. وفي هذا المجال أيضاً يمكن القول إن هناك نتائج محسوسة حدثت، فهذا شيء لا يمكن إنكاره.

فالعبودية والاستعباد المقنن أبطلا حق الجميع في الثقافة حدث بشأنه تقدّم ملموس. في بلاد عديدة يعترف القانون بمساواة الرجل بالمرأة واشتراك كل المواطنين في ممارسة حقوقهم السياسية والحصول على نفس الحقوق بالنسبة إلى الجميع. العنصرية رُفضت على أنها مناقضة للحقوق والعدالة. التعبيرات الخاصة بحقوق الإنسان تعني وعيّاً أكثر حيوية بكرامة كل الناس. بالمقارنة مع الأنظمة السابقة فإن مكتسبات الحرية والمساواة في مجتمعات عديدة لا يمكن الاستهانة بها الآن.

(٩) حرية التفكير والإرادة :

أخيرا وخاصة، الحركة الحديثة للتحرير كان عليها أن تحمل للإنسان الحرية الداخلية، تحت شكل حرية التفكير وحرية الإرادة. وكانت تود تحرير الإنسان من الخرافة وخوف الأجداد، بصفتها عقبات تعوق التنمية. وآلت على نفسها أن تعطي الإنسان الشجاعة والإقدام على أن يستخدم عقله دون أن يقيده الخوف أمام حدود المجهول. هكذا حدث بالنسبة إلى العلوم التاريخية والعلوم الإنسانية. فقد نمت معرفة جديدة للإنسان، مدعوة لمساعدته لفهم ذاته أكثر، خاصة فيما يخص نموه الشخصي أو ظروفه الأساسية لتكوين مجتمع ما.

(١٠) الإلتباس المصاحب للحركة الحديثة للتحرير :

في هذه الاثناء، وعلى الرغم من المكاسب التي سجّلها الإنسان على الطبيعة، في الحياة الاجتماعية والسياسية أو في مجال السيطرة على ذاته سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، كلنا يمكن أن نلاحظ أن التقدم الذي تحقق على هذه الجبهات ليس فقط بعيداً عن أن يطابق الآمال المعلقة، لا بل هناك تحديات جديدة، وعبوديات جديدة وأخطار جديدة برزت في نفس الوقت الذي كانت تتعاظم فيه حركة التحرير الحديثة. هنا تكمن علامة الإلتباس الخطيرة في معنى الحرية والذي لصق بها منذ بدايتها والتي كانت تشوّش على هذه الحركة من الداخل.

(١١) الإنسان مهدد بفعل سيطرته على الطبيعة :

هكذا بنفس المقياس الذي كان يتحرّر فيه الإنسان من الطبيعة، عرف الإنسان خوفاً متزايداً من نفسه. فإن التقنية بإخضاعها الدائم والمتصاعد للطبيعة، تخاطر بهدم أُسس مستقبلنا ذاته، بطريقة تجعل إنسانية اليوم عدوّة للأجيال القادمة. فبواسطة تحويل القوى الطبيعية إلى العبودية التامة بفعل القوى العمياء، أليس من الحق القول بأننا نهدم حرية إنسان الغد؟ ثم أي قوة يمكنها أن تحمي الإنسان من عبودية سيطرته ذاتها؟ لذلك فإن نظرة جديدة كل الجدّة للحرية والتحرير تصبح ضرورية للخروج من هذا المأزق.

(١٢) أخطار القدرة التكنولوچية :

القوة المحررة للمعرفة العلمية تتجسد في الإنجازات التكنولوچية. فمن يمتلك التكنولوچيا يمتلك السلطة على الأرض وعلى البشر. من هنا أتت أشكال اللامساواة التي كانت حتى الآن غير معروفة، بين مالكي المعرفة والذين يستخدمون التقنية البدائية. إن القوة التكنولوچية الجديدة مرتبطة بالقوة الاقتصادية وتعمل على تركيزها. هكذا داخل الشعوب، كما بين الشعوب وبعضها استجدت علاقات تبعية، كانت في العشرين سنة الأخيرة، سبباً لمطالب جديدة للتحرير، كيف يمنع القوة التكنولوچية من أن تصبح قدرة على قهر مجموعات من البشر أو قهر شعوب بأكملها؟

(١٣) النظرة الفردية والنظرة الجماعية؟

في مجال المكاسب الاجتماعية والسياسية يوجد واحدة من الالتباسات الأساسية في التأكيد على الحرية، نتجت من عصر الأنوار تتعلق بمفهوم الشخص صاحب الحرية، وتعرّفه بأنه الفرد المكتفي بذاته والذي غايته هي إرضاء مصلحته الشخصية من خلال التمتع بالخيرات الأرضية. إن الأيديولوجية الفردانية التي استلهمت هذا المفهوم فيما يخص الإنسان ساعدت على التوزيع غير المتكافئ للخيرات في بدايات العصر الصناعي لدرجة أن العمال وجدوا أنفسهم محرومين من الوصول إلى الخيرات الجوهرية التي كانوا قد ساهموا في انتاجها والتي كانت من حقهم. من هنا ولدت حركات تحرير قوية، من الشقاء الذي خلّفه المجتمع الصناعي.

يوجد مسيحيون، علمانيون ورعاة، لم يفتهم أن يكافحوا من أجل الاعتراف العادل بالحقوق المشروعة للعمال. وفي صالح هذا المطلب رفع رئيس الكنيسة صوتها في مناسبات عديدة.

ولكن في أغلب الأحيان، فإن المطالب الصحيحة للحركة العمالية أوصلتها إلى عبوديات جديدة، لأنها كانت تستلهمها من مفاهيم تجهل الدعوة السامية للشخص البشري، وخصته بغاية أرضية محضة. كما كانت تولّد بدورها مظالم أكثر خطورة من التي كان العمال يريدون أن يضعوا لها حداً.

(١٤) أشكال جديدة للقهر :

هكذا شهد عصرنا ولادة الأنظمة الشمولية وأشكالاً من الطغيان لم يكن ظهورها ممكناً في العصر السابق لظهور التكنولوچيا. فمن جهة فإن التقنية الكاملة قد طبّقت في المذابح البشعة، ومن جهة أخرى، فإن هناك أقليات تدّعي هزيمة أمم بأكملها، بممارستها للارهاب الذي يتسبب في موت عديد من الأبرياء.

واليوم فإن التحكم يستطيع أن يلج حتى داخل الأفراد وحتى التبعيات التي خلفتها أنظمة الرؤية المستقبلية يمكنها أن تشكل أخطاراً محتملة للقهر. وهناك أشكال خاطئة للتحرر من الضغوط الاجتماعية تظهر في البحث عن المخدّرات، التي تقود، في العالم أجمع، كثيراً من الشباب إلى الهدم الذاتي، وتطرح عائلات بأكملها في القلق والألم.

(١٥) خطر الهدم الكلي :

إن الاعتراف بنظام قانوني كضمان للعلاقات داخل العائلة البشرية الكبيرة للشعوب يضعف أكثر فأكثر. فعندما يظهر أن الثقة في القانون لا تقدم أي حماية كافية، فإن الأمن والسلام يُبحث عنهما في تهديد متبادل بين الشعوب يصبح بدوره خطراً على كل الإنسانية. القوى التي كان من الواجب أن تستخدمها لتنمية الحرية استخدمت لتعظيم التهديدات وأدوات الموت التي تتصارع اليوم تستطيع القضاء على كل حياة بشرية على الأرض.

(١٦) علاقات جديدة لا متكافئة :

بين الأمم المزودة بقدرات والأمم المحرومة من هذه القدرات نشأت من جديد علاقات لا متكافئة وعلاقات قهر. البحث عن المصلحة الخاصة يبدو هو القاعدة للعلاقات العالمية، دون أن يؤخذ في الاعتبار الصالح المشترك للإنسانية. التوازن الداخلي للأمم الفقيرة اختل بسبب استيراد الأسلحة مدخلاً عندها عنصر للفرقة يقود إلى سيطرة مجموعة على أخرى داخل الأمة الواحدة. أي قوة يمكنها استبعاد الجري السيستيماتيكي للأمم نحو التسليح ويرجع للقانون سلطته؟

(١٧) تحرر الأمم الشابة :

إنه في إطار العلاقات اللامتكافئة بين القوى ظهرت حركات التحرر للأمم الشابة، ففي الغالب هناك أمم فقيرة خاضعة حديثاً للسيطرة الاستعمارية. ولكن أحياناً كثيرة تجد الشعوب نفسها مغلوبة على أمرها بسبب استقلال منتزع بواسطة أنظمة أو طغاة لا تستحي من خرق حقوق الإنسان فتضرب بها عرض الحائط دون رادع أو ضمير. مثل هذه الشعوب التي تخضع لهذه الأنظمة فقدت قدرتها الذاتية ولم يتغير شيء فيها إلا الأسيّاد الجدد.

يبقى أن من الظواهر الكبرى لعصرنا، إنه على امتداد القارات الخمس، فإن بروز وعي الشعب، الذي يئن تحت الشقاء البشري ويتطلع

نحو حياة كريمة عادلة، هو في سبيل ذلك، مستعد ليحارب من أجل الحصول على حريته.

(١٨) الأخلاق والله ، هل هما عوائق للتحرير؟

بالرجوع إلى الحركة الحديثة لتحرير الإنسان الداخلي، علينا أن نلاحظ أن المجهود المبذول لتحرير الفكر والإرادة من حدودها وصل إلى حد القول بأن الأخلاق في حد ذاتها تشكّل عقبة لا معقولة للإنسان الذي عزم على أن يتخطاها حتى يحقق ذاته. لا بل إنه، بالنسبة إلى الكثير من الناس، الله نفسه هو مصدر الاغتراب الخاص بالإنسان. فبين الإيمان بالله وحرية الإنسان يوجد تنافر جذري. فإذا وضعنا جانباً الإيمان بالله فإن الإنسان يصبح بحق حراً.

(١٩) أسئلة مقلقة :

هنا بيت القصيد حيث جذور المآسي الإنسانية التي تصاحب التاريخ الحديث للحرية. لماذا هذا التاريخ، بالرغم من المكتسبات الكبيرة التي تبقى في الواقع هشّة، يعرف انتكاسات متكررة من الاغتراب كما يشاهد ظهور عبوديات جديدة؟ لماذا هذه الحركات التحررية التي ولّدت آمالاً كبيرة تؤدي في النهاية إلى أنظمة تصبح حرية المواطنين (٨) فيها، ابتداء من أول وأهم هذه الحريات، التي هي الحرية الدينية، العدو الأول

لها» حينما يريد الإنسان أن يتحرر من القانون الأخلاقي ليصبح مستقلاً عن الله، فإنه عوضاً عن أن يكتسب حريته، يفقدها.

فبهروبه من مقياس الحق، يصبح ضحية مزاجه، والعلاقات الأخويّة بين البشر أزيلت ليحل محلها الإرهاب والحقد والخوف.

إن حركة التحرير العميقة تظل مشبوهة التوجه، لأنها ملغومة بأخطاء قاتلة في نظرتها للحدود البشرية ولحرية الإنسان فهي محمّلة بالوعد بالحرية الحقيقية وفي الوقت نفسه مهدّدة بعبوديات مميتة.

ثانياً: الحرية في تجربة شعب الله:

(٢٠) الكنيسة والحرية :

إن الكنيسة في شخص رئيسها، لأنها كانت واعية بهذا الالتباس المميت، رفعت صوتها، في الفترة التاريخية الأخيرة، لتحذّر من هذه الانحرافات التي كانت تخاطر بتحويل الدفعة المحررة نحو خيبة الآمال المرّة. فكانت في أغلب الأحيان غير مفهومة القصد في اللحظة ذاتها. ومع الوقت، أصبح ممكناً أن يردّ الاعتبار لتمييزها.

إنه باسم حقيقة الإنسان، الذي خلق على صورة الله، تدخلت الكنيسة (١٠) وبالرغم من ذلك يتهمها البعض بأنها تشكل هي ذاتها عثرة على طريق التحرير. فبنيتها المراتبية ربما قد اعترضت على المساواة،

ورئيسها الأعلى ربما عارض حرية الفكر. بالتأكيد قد كانت هناك أخطاء في الحكم أو الإهمال خطير تسبب فيه المسيحيون على مر الأجيال (١١).

ولكن هذه الاعتراضات تجهل الطبيعة الحقيقية للأشياء. إن تنوع المواهب في شعب الله، التي هي مواهب للخدمة لا تتعارض مع الكرامة المتساوية للأشخاص ولا مع دعوتهم المشتركة للقداسة.

إن حرية التفكير، كشرط للبحث عن الحقيقة في كل مجالات المعرفة الإنسانية، لا تعني أن العقل البشري يجب أن ينغلق على أنوار الوحي الذي أئتمن عليه المسيح كنيسته. فبالانفتاح على الحقيقة الإلهية، فإن العقل المخلوق يجد انشراحه وكمالاً يشكل واقعاً من أشكال الحرية. من جهة أخرى، إن المجمع الفاتيكاني الثاني اعترف اعترافاً تاماً بمشروعية استقلال العلوم (١٢) كما اعترف أيضاً بمشروعية استقلال الأنشطة ذات الصبغة السياسية (١٣).

(٢١) حرية الصغار والفقراء :

منذ عصر الأنوار هناك خطأ رئيسي أضرّ كثيراً عملية التحرير، هذا الضرر متعلق بالاعتقاد الموجود عند كثيرين، المنتشر بدرجة واسعة النطاق، وهو أن التقدم المتحقق في مجال العلوم، والتكنولوچيا والاقتصاد، هذا التقدم هو الذي يجب أن يكون الأساس الذي بناء عليه تكتسب الحرية. ومن هنا يجهل الناس أعماق هذه الحرية ومتطلباتها.

هذه الأعماق الحقيقية للحرية، عبّرت عنها الكنيسة بشكل دائم من خلال حياة جموع غفيرة من المؤمنين، خاصة بين الصغار والفقراء.

فهؤلاء بإيمانهم، يعرفون أنهم موضع حب الله اللا محدود. لسان حال كل منهم يقول عيش في الإيمان بابن الله الذي أحبني وسلّم نفسه من أجلي غلا ٢/٢٠ هذه هي كرامتهم التي لن ينزعها منهم أحد من الأقوياء، هذا هو الفرح المحرر الحاضر بداخلهم. وهم يعرفون أن كلام يسوع موجه إليهم هكذا: لا أسميكم عبيداً، لأن العبد يجهل ما يفعله سيّده، لكني أسميتكم أحبائي، لأن كل ما تعلمت من أبي عرّفته لكم" يو ١٥/١٦ هذا الاشتراك في معرفة الله هو عينه تحررهم من الادعاءات التي تنحو إلى التسلط من جانب من يمسكون بزمام المعرفة: "كلكم تملكون العلم.. ولا تحتاجون إلى من يعلمكم" (يو ٢/٢٠ و٢٧) فهم يدركون أنهم يشتركون في المعرفة السامية التي إليها مدعوّة البشرية كلها (١٤) يعرفون أنهم محبوبون من الله مثل بقية الآخرين لا بل وأكثر من الآخرين. فهم يعيشون هكذا في الحرية التي تنبع من الحق والحب.

(٢٢) مصادر التديّن الشعبي :

إن نفس المعنى لإيمان شعب الله، في تقواه المملوء بالرجاء في صليب المسيح، يدرك القوّة المتدفقة في سرّ المسيح الفادي. فإذن بدلاً من احتقار أشكال التدين الشعبي والرغبة في القضاء عليها، على العكس يجب أن نستخلص منها معنى ونعمقه ونلتزم بكل ما يفترضه هذا

المعنى من متطلبات (١٥) يوجد هنا شيء ذات منحني لاهوتي ورعوي عميق: إنهم الفقراء، هم هدف البشارة الإلهية، وهم الذين يفهمون بطريقة أفضل وكأنه فهم غريزي، إن التحرير الجذري، هو تحرير من الخطيئة ومن الموت، تحرير كمّله موت المسيح وقيامته من الأموات.

(٢٣) الجوانب الخلاصية والأخلاقية للتحرير :

إن قوة هذا التحرير تخترق وتحول الإنسان والتاريخ في مجراه الحاضر بعمق، وتغذي اندفاعه السكاتولوچي (الأخروي). فالمعنى الأول والأساسي للتحرير الذي يظهر بهذا الشكل هو المعنى الخلاصي. فالإنسان يتحرر من العبودية الجذرية للشر والخطيئة.

في تجربة الخلاص هذه، يكتشف الإنسان المعنى الحقيقي للتحرير بما أن التحرير هو إعادة الحرية. هو أيضاً تربية الحرية أعني التربية على استخدام الحرية هي الحق. وهكذا فإن الجانب الخلاصي للتحرير يضاف إلى جانبه الأخلاقي.

(٢٤) مرحلة جديدة في تاريخ الحرية :

إن معنى الإيمان الذي في أساس التجربة الجذرية للتحرير والحرية تشرب ثقافة وعادات الشعوب المسيحية على درجات مختلفة. ولكن اليوم، فإنه بطريقة جديدة، وبسبب التحديات المخيفة التي تواجهها الإنسانية،

أصبح ضرورياً وعاجلاً، أن محبة الله والحرية النابعة من الحقيقة والعدالة، تطبع العلاقات بين الناس وبعضهم وبين الشعوب وبعضها وأن تحيي الثقافات المختلفة. لأنه حيث يغيب الحب والحقيقة، فإن عملية التحرير تؤدي إلى موت الحرية التي تكون قد فقدت كل مرتكز.

مرحلة جديدة من التاريخ تنفتح أمامنا. القدرات المحررة للعلم والتكنولوجية اللازمة للعمل، والاقتصاد والعمل السياسي، لن تعطي ثماراً إلا إذا وجدت إلهامها ومقياسها في الحقيقة والحب الأقوى من الآلام كما أوحى للبشر في يسوع المسيح.

الفصل الثاني

دعوة الإنسان إلى الحرية ومأساة الخطيئة

أولا: اقتراب أول من الحرية:

(٢٥) ردّ تلقائي :

الرد التلقائي على السؤال: ما معنى أن يكون الإنسان حراً؟ هو الآتي يكون حراً من يستطيع أن يفعل ما يريده فقط دون أن يمنع بضغط خارجي، وأن يتمتع إذن باستقلال تام. عكس الحرية يكون تبعية إرادتنا لإرادة أجنبية.

ولكن هل يعرف الإنسان دائماً ماذا يريد؟ هل يستطيع عمل كل ما يريد؟ غالباً ما تكون إرادة لحظة معينة ليست الإرادة الحقيقية. وفي نفس الشخص يمكن أن توجد إرادات متناقضة. ولكن قد يصطدم الإنسان بحدود طبيعته خاصة: بمعنى أنه يريد أكثر مما يستطيع وهكذا فإن العائق الذي يعوق إرادته لا يأتي دائماً من الخارج، ولكن يأتي من حدود كيانه نفسه. لهذا السبب، وحتى لا يهدم الإنسان ذاته، عليه أن يتعلم أن يوفّق بين إرادته وطبيعته.

(٢٦) الحق والعدل قاعدتا الحرية :

أكثر من ذلك، فإن كل إنسان متجه نحو الآخرين، ويحتاج إلى مجتمعهم وحينما يتعلم يوفّق بين إرادته وإرادات الآخرين من أجل عمل الخير الحقيقي. بهذا بتعلم استقامة الإرادة، هكذا فالتناسق بين متطلبات الطبيعة البشرية هو الذي يجعل الإرادة نفسها إنسانية.

حينئذ هذه الإرادة تكتسب معيار الحقيقة وعلاقة متزنة مع إرادة الآخرين. الحق والعدل هما إذن المقياس الصحيح للحرية الحقيقية. فبابتعادنا عن هذا الأساس، وحينما يظن الإنسان نفسه إلهاً يقع في الكذب. وبدلاً من أن يحقق ذاته فإنه يهدمها.

فالحرية، عوضاً عن أن تكتمل في الاستقلالية الكاملة للأنا، وفي غياب العلاقة مع الآخر، إنها تحقق حقاً حيث توجد علاقات متبادلة، مؤسَّسة على الحق والعدل، مُوَحدة بين الأشخاص. ولكن لكي توجد مثل هذه العلاقات وتصبح ممكنة، على كل شخص أن يكون متسقاً مع ذاته.

الحرية ليست هي حرية عمل أي شيء كان، إنما هي الحرية من أجل الخير، الذي فيه توجد السعادة. والخير هو هدفها. والنتيجة، فإن الإنسان يصبح حراً بقدر ما يصل إلى معرفة الحق. وعلى هذا الحق، وليس على أي شيء آخر، أن يقود إرادته. التحرير بواسطة معرفة الحقيقة التي هي وحدها تقود الإرادة شرط ضروري لحرية تكون جديرة بهذا الاسم.

ثانيا: الحرية والتحرير:

(٢٧) حرية المخلوق :

بمعنى آخر، فإن الحرية التي هي سيطرة داخلية على الأفعال الشخصية وتحديد المصير الذاتي تحتوي أيضاً على علاقة بالمستوى

الأخلاقي. وهي تجد معناها الحقيقي في اختيار الخير الأخلاقي. فهي تبرز حينئذ على أنها انعتاق عن عبودية الشر الأخلاقي. والإنسان، بفعله الحرّ يجب أن يتوجّه نحو الخير الأعلى من خلال الخيرات المطابقة لمتطلبات طبيعته ومتطلبات دعوته الإلهية.

عندما يمارس الإنسان حريته، فإنه يقرر بنفسه ويكون هو نفسه. يمكن القول أن الإنسان هو سبب نفسه. ولكن هكذا بصفته خليقة الله وصورته. هذه حقيقة كيانه في مقابل ما تقوله النظريات الخاطئة جداً التي تعتقد أنها تمجّد حرية الإنسان أو ممارسته التاريخية جاعلة منها المبدأ المطلق لكيانه وصورته. هذه النظريات هي تعبيرات عن الإلحاد أو تحذو بمنطقها الذاتي إلى الإلحاد، والفتور واللاإرادية المقصودة يؤديان إلى نفس الاتجاه. إن صورة الله في الإنسان هي أساس الحرية والكرامة للشخص الإنساني (١٦).

(٢٨) دعوة الخالق :

حينما خلق الله الإنسان حراً، طبع فيه صورته ومثاله (١٧) يفهم الإنسان نداء خالقه في توجّه وتطلّع طبيعته نحو الخير، وأكثر من ذلك في كلام الوحي، الذي نُطق به بطريقة كاملة في المسيح. ففي الوحي كُشف له أن الله خلقه حراً ليستطيع، بالنعمة، أن يدخل في علاقة صداقة معه ويشترك في حياته.

(٢٩) حرية مشتركة :

لا يملك الإنسان أصله في فعله الشخصي الفردي أو الجماعي ولكن في عطية الله الذي خلقه. هذا هو أول اعتراف بإيماننا، والذي يأتي ليؤكد البديهيات السامية للعقل الإنساني.

حرية الإنسان حرية مشتركة (Participée) قدرته على أن يحقق ذاته من خلال علاقة تبعيته لله التي لا تمحو أبداً هذه القدرة.

إنه من خصائص الإلحاد أن يعتقد بأن هناك تناقض غير قابل للحل بين سبب الحرية الإلهية وسبب الحرية الإنسانية، وكأن التأكيد على وجود الله يعني نفس الإنسان، أو أن تدخل الله في التاريخ يلغي تدخل الإنسان فيه. وفي الحقيقة، أنه نفي الله، وبالنسبة إليه، تأخذ الحرية الإنسانية معناها وكيانها.

(٣٠) الاختيار الحر للإنسان :

يسير التاريخ على الأساس الطبيعي الذي تلقاه من الله، نحو الاكتمال الحر للغايات التي يوجهه نحوها والتي تحمل انحناءات هذه الطبيعة انحناءات النعمة الإلهية.

لكن حرية الإنسان محدودة وغير معصومة. فرغبته يمكن أن تتجه نحو خير ظاهري باختيارها خيراً غير حقيقي، تسيئ إلى دعوة الحرية.

الإنسان يتصرف بذاته بحريته الشخصية: فيمكن أن يتصرف بها في اتجاه إيجابي أو في اتجاه هدّام. فبطاعته للقانون الإلهي المحفور في ضميره والذي يقبله بدافع من الروح القدس، يمارس الإنسان السيطرة الحقيقية على نفسه، ويحقق هكذا دعوته الملوكية كابن لله. بخدمة الله يملك (١٨) الحرية الصافية هي (خدمة العدالة) فيما عمل، وعكس الحرية الصافية، أي اختيار للمعصية والشر هو (عبودية الخطيئة) (١٩).

(٣١) التحرير الزمني والحرية :

انطلاقاً من كلمة حرية، يتحدد معنى التحرير الزمني: المقصود هو مجموع الاجراءات التي تهدف إلى ايجاد وضمان الظروف المطلوبة لممارسة حرية إنسانية حقيقية.

ليس إذن التحرير هو ذاته الذي يعطينا الحرية. المعنى السائد المؤكد بالمعنى المسيحي، يعترف بأن الحرية، حتى وإن خضعت لمجموعة من الشروط، فإنها لن تهدم أناس كثيرين رغم أنهم يتحمّلون ضغوطاً رهيبة، ينجحون في إظهار حريتهم ويشرعون في تحرير ذواتهم.

عملية تحرير مكتملة فقط، تستطيع أن تخلق الظروف المواتية للممارسة الفعلية للحرية. كما أن التحرير الذي لا يأخذ في الحسبان الحرية الشخصية للمحاربين من أجلها محكوم عليه بالفشل مقدماً.

ثالثاً: الحرية والمجتمع الإنساني:

(٣٢) حقوق الإنسان و(الحريات) :

لم يخلق الله الإنسان (كائناً متوحداً) ولكن أراده (كائناً اجتماعياً) (٢٠) فالحياة الاجتماعية إذن ليست خارج الإنسان فهو لا يستطيع أن ينمو ويحقق دعوته إلا من خلال علاقته مع الآخرين. الإنسان ينتمي إلى جماعات مختلفة: عائلية، وظيفية، سياسية، وفي حضن كل هذه الدوائر الاجتماعية، عليه أن يمارس حريته المسئولة. فنظام اجتماعي عادل يقدم للإنسان مساعدة لا يمكن استبدالها لتحقيق شخصيته الحرة. وبالعكس فإن نظاماً اجتماعياً ظالماً يعتبر تهديداً وعائقاً يمكن أن يهدد مصيره.

في المجال الاجتماعي، الحرية تعبر عن نفسها وتتحقق في أفعال، وهياكل ومؤسسات، بفضلها يتصل الناس ببعضهم وينظمون حياتهم سالمة فيما بينهم. يوجد هنا التزام ذات طبيعة أخلاقية، وجد تعبيره في صياغة وثيقة حقوق الإنسان. بعض هذه الحقوق موضعها هو ما اتفق على تسميته (الحريات) أعني الطرق التي بها يعترف لكل كائن بشري بخصاله الشخصية ومسئوليته عن نفسه، ومصيره السامي، وكذلك عدم التعدي على حرية ضميره (٢١).

(٢٣) الأبعاد الاجتماعية للإنسان ومجد الله :

البعد الاجتماعي للكائن البشري يرتدي أيضاً معنى آخر: فقط

تعددية البشر وتنوعهم يستطيعان أن يعبرا عن بعض الغنى اللامحدود لله. هذا البعد مدعو أن يجد تمام اكتماله في جسد المسيح الذي هو الكنيسة. من أجل ذلك، فإن الحياة الاجتماعية، في حقيقة أشكالها المختلفة، وبقدر ما هي مطابقة للناموس الإلهي، تعتبر انعكاساً لمجد الله في العالم (٢٢).

رابعا: حرية الإنسان والسيطرة على الطبيعة:

(٣٤) دعوة الإنسان (لإخضاع) الطبيعة :

إن الإنسان، بحكم بعده الجسدي، يحتاج إلى مواد أولية من العالم المادي لكماله الشخصي والاجتماعي. وفي دعوته للسيطرة على الأرض بوضعها في خدمته من خلال عمله، يمكن أن نتعرف على أحد وجوه صورة الله (٢٣) ولكن تدخل الإنسان في مجرى الطبيعة ليس (خلاقاً)، فهو يلتقي بطبيعة مادية مصدرها - كما بالنسبة للإنسان - موجود في الله الخالق الذي جعله (الحارس العامل والنبيل) (٢٤).

(٣٥) الإنسان سيّد لأنشطته :

التحولات التقنية والاقتصادية تتوالى على نظام الحياة الاجتماعية وهذا لا يحدث دون أن يؤثر بشكل ما في الحياة الثقافية والدينية

نفسها. يظل الإنسان في الوقت نفسه سيداً لأعماله. التحولات الضخمة والسريعة لعالمنا المعاصر تشكل له تحدياً مأسوياً: تحدي التحكم والسيطرة، بواسطة عقله وحريته، على القوى التي يحركها في خدمة الغايات الحقيقية للإنسانية.

(٣٦) الاكتشافات العلمية والتقدم الأخلاقي :

ينبغي على الحرية الموجهة توجيهاً حسناً، أن تعمل على أن تكون المكتسبات العلمية والتقنية، وأن يكون البحث عن فعاليتهما، ونتائج العمل، وأسس النظام الاقتصادي والاجتماعي نفسها، غير خاضعة لمشاريع قد تحرمها من غاياتها الإنسانية وقد تحولها ضد الإنسان نفسه.

إن النشاط العلمي والنشاط التقني يحتوي كل منهما على متطلبات خاصة به. ولكنهما لن يأخذا معناهما وقيمتهما الإنسانيتان بحق إلا إذا كانا مرتبطين بالمبادئ الأخلاقية. هذه المتطلبات يجب أن تحترم، ولكن الرغبة في إضفاء صفة الاستقلال الذاتي المنطلق والضرورية عليها لا تتطابق مع طبيعة الأشياء وهذا يعني الانزلاق في طريقة مخرّب للحرية الحقيقية للإنسان.

خامساً: الخطيئة مصدر للانقسام والقهر:

(٣٧) الخطيئة هي انفصال عن الله :

يدعو الله الإنسان إلى الحرية، ففي كل شخص هناك رغبة حية ليكون حراً. وبالرغم من ذلك فإن هذه الإرادة تؤدي دائماً تقريباً إلى العبودية والقهر. وكل التزام من أجل التحرير والحرية يفترض إذن أننا نواجه هذا التناقض المأسوي.

خطيئة الإنسان، أعني انفصاله عن الله، هو السبب الجذري للمآسي التي تطبع تاريخ الحرية. لفهم ذلك كثيراً من معاصرينا عليهم أن يعيدوا اكتشاف معنى الخطيئة أولاً.

ففي إرادة الإنسان للحرية تختفي تجربة حجم طبيعته الشخصية وذلك بصفته يريد كل شيء ويريد أن يستطيع كل شيء ومن هنا ينسى أنه محدود وأنه مخلوق، فهو يدعى إنه إله. "ستصيرون آلهه" تك ٣/٥ كلام الحية هذا يظهر ماهية تجربة الإنسان. فهو يفترض فساد معنى حريته الشخصية. هذه هي الطبيعة العميقة للخطيئة: الإنسان ينتزع نفسه من واقعه الحقيقي، واضعاً إرادته فوقها. فبإرادته التحرر من علاقته مع الله ورغبته في أن يصبح هو نفسه إلهاً، يخدع نفسه ويهدمها بمعنى آخر يغترب عن ذاته.

وفي هذه الإرادة في أن يصبح الإنسان إلهاً وأن يخضع كل شيء لشهوته، يختفي فساد فكرته نفسها عن الله. الله محبة. وحقيقة في كمال عطائه المتبادل بين الأقانيم الثلاثة، والإنسان مدعو أن يكون على مثال

الله، هذه حقيقة. لكن الإنسان يصبح مشابهاً لله، ليس في رغبته الحرة في الاختيار، ولكن بقدر ما يعترف بأن الحقيقة والحب هما في نفس الوقت المبدأ والغاية لحريته.

(٣٨) الخطيئة هي أصل كل اغتراب إنساني :

الإنسان، بخطيئته يكذب على ذاته وينفصل عن حقيقته. وببحثه عن استقلاله التام واكتفائه بذاته، ينكر الله وينكر نفسه. اغترابه بالنسبة إلى حقيقة وجوده كخليقة محبوبة من الله هو أصل كل الاغترابات الأخرى في حياته. فجحوده أو محاولة نكرانه لله، مبدأه وغايته، يبدل الإنسان بكل عمق نظام حياته واتزانه الداخلي ونظام واتزان المجتمع لا بل نظام واتزان الكون (٢٥).

إن الكتاب المقدس يعتبر مجموع المصائب التي تقهر الإنسان في كيانه الفردي والاجتماعي على علاقة وطيدة بالخطيئة.

كما يبين الكتاب أنه على امتداد التاريخ ظهرت علامة سرية بين هذا التاريخ وبين عمل الإنسان، الذي منذ البدء، استغل حريته ليقف خصماً لله محاولاً الوصول إلى غاياته خارجاً عنه تعلى (٢٦). إن سفر التكوين يبين لنا نتائج الخطيئة الأصلية، في طبيعة العمل الثقيل والأمومة، في سيطرة الرجل على المرأة وفي الموت. هكذا، فإن البشر الذين حرموا من النعمة الإلهية وورثوا طبيعة الموت المشتركة غير قادرين على أن يتوجهوا نحو الخير ميّالين إلى الشهوة (٢٧).

(٢٩) عبادة الأصنام وخلل النظام :

إن عبادة الأصنام هي الشكل الأقصى للخلل الذي يولّد عن الخطيئة. إن عبادة الخليقة عوضاً عن التعبّد لله الحي شوهت العلاقات بين الناس وجرّت عليهم أنواع القهر المختلفة.

إن الجهل الأثيم بالله ولّد النزوات الإنسانية، وسبب عدم التوازن والأزمات في ذات الإنسان. ومن هنا يأتي الخلل الذي لا يمكن للإنسان أن يتجنبه والذي يؤثر في المجال العائلي والاجتماعي، الإباحة الجنسية الظلم وقتل الأخوة. هكذا يصف القديس بولس العالم الوثني فتحت التأثير الوثني يميل إلى أفظع الفواحش التي تهدم الفرد والمجتمع (٢٨).

رأى الأنبياء والحكماء في إسرائيل من قبل بولس الرسول، في مصائب الشعب عقاباً على خطيئة الصنمية، كما رأوا في (القلب المملوء بالخبث) حكمة ٩/٣ (٢٩) منبع العبودية الجذرية للإنسان ومنبع القهر الذي يقوم به ضد من شابهوه في الآدمية.

(٤٠) احتقار الله والرجوع للخليقة :

إن التقليد المسيحي عند الآباء ودكاترة الكنيسة، يشرح عقيدة الكتاب الخاصة بالخطيئة. فبالنسبة للتقليد، الخطيئة هي احتقار لله (Contam-tus Dei) فهي تحتوي على إرادة الهروب من علاقة التبعية بين المخلوق

وسيده، أو هروب الابن من علاقته بأبيه، فحينما يخطئ الإنسان يظن أنه يتحرر من الله، ولكن في الواقع يصبح عبداً. لأنه برفضه لله، يوقف نعمته التي تتطلع إلى اللامحدود، ويوقف دعوته للمشاركة في الحياة الإلهية. لذا قلبه يصبح عرضة للقلق.

إن الإنسان الخاطئ الذي يرفض الالتصاق بالله يتجه ضرورة للارتباط بطريقة فارغة ومهلكة نحو الخليقة. في الرجوع للخليقة (con-versio ad creationem) يركز عليها رغبته الغير مشبعة للامحدود. ولكن الخيرات المخلوقة محدودة، ولذلك فإن قلبه يتقلب من خليقة إلى أخرى باحثاً دائماً عن سلام مستحيل.

وفي الحقيقة، حينما ينسب الإنسان إلى الخليقة صفة اللامحدودية يفقد معنى وجوده الشخصي المخلوق. فهو يدعى أنه سيجد مركزه ووحدته في ذاته هو. فحب الإنسان لذاته هو الوجه الآخر لاحتقار الله. فالإنسان يحاول حينئذ ألا يتكّل إلا على ذاته، يريد أن يحقق ذاته بذاته ويكتفي بذاته في حلوليته الشخصية (٣٠).

(٤١) الإلحاد، مظهر كاذب للحرية :

يظهر ذلك جلياً حينما يرى الخاطئ أنه لا يمكنه أن يؤكد حريته الشخصية إلا إذا أنكر بشكل واضح وجود الله. حينئذ تصبح علاقة التبعية بين الخليقة والخالق، أو علاقة الضمير الأدبي بالناموس الإلهي

علاقة عبودية لا يمكن أن يقبلها على نفسه. نكران الألوهية تصبح في نظرة الشكل الصحيح لتحرر وتحرير الإنسان، بينما الدين أو حتى الاعتراف بناموس أخلاقي يعتبر في نظره اغتراباً. ففي هذه الحالة يريد الإنسان آن يقرر بكل سلطة الفرق بين الخير والشر، كما يريد أن يجدد القيم بناء على مفهومه الخاص، وفي نفس اللحظة يترك جانباً أن يجدد القيم بناء على مفهومه الخاص، وفي نفس اللحظة يترك جانباً حقيقة وجود الله وحقيقة وجود الخطيئة. وبفضل جسارته في التعدي على ما ليس له الحق فيه، يدّعي أنه آصبح ناضجاً وحراً، ويطالب بهذا التحرر ليس فقط لشخصه ولكن لأجل الإنسانية جمعاء.

(٤٢) الخطيئة وهيكيلة الظلم :

الإنسان الخاطئ، بعد أن يصبح مركز ذاته، يحاول أن يؤكد ذاته ويرضى رغبته اللامتناهية باستخدامه للأشياء، الغنى السلطة، الملذات، غاضا النظر عن الآخرين الذين يخلع عنهم كل حقوقهم، معاملاً آرائهم كأشياء آو كآدوات هكذا يساهم، من ناحية، في خلق هيكليات الاستغلال والعبودية اللذين كان يظن أنه يحاربهما.

الفصل الثالث

التحرير والحرية المسيحية

(٤٣) الإنجيل ، الحريّة والتحرير :

إن التاريخ البشري المرسوم بتجربة الخطيئة كان من الممكن أن يؤدي بنا إلى اليأس لو كان الله قد ترك خليقته لذاتها. لكن الوعود الإلهية الخاصة بالتحرير واكتمالها المنتصر في موت وقيامة السيد المسيح هي أساس الرجاء في الفرح "حيث تنهل الجماعة المسيحية القوة وتعمل بعزم وبفاعلية في خدمة الحب والعدل والسلام" فالإنجيل رسالة حرية وقوة تحرير (٣١) فهو الذي يتمم رجاء إسرائيل المؤسّس على كلام الأنبياء. هذا الكلام يعتمد على عمل يهوه الذي قبل أن يتدخل بصفته (٣٢) المحرر الفادي، مخلص شعبه، كان قد اختار شخص إبراهيم (٣٣).

أولاً: التحرير في العهد القديم:

(٤٤) الخروج والتدخلات المحررة ليهوه :

إن العمل المحرر ليهوه في العهد القديم، والذي يمكن استخدامه كنمط ومرجع لكلّ الأعمال الأخرى هو الخروج من مصر "بيت العبودية" فإذا كان الله ينتزع شعبه من الاستعباد القاسي سواء كان اقتصادي أو سياسي أو ثقافي، فإن هذا يحدث لكي يصنع الله منه بواسطة عهد سيناء "مملكة من الكهنة، وأمة مقدسة" خروج ١٩/٦. الله يريد أن يعبد بواسطة أناس أحرار. وكل عمليات التحرير اللاحقة لشعب إسرائيل تقود إلى هذه الحرية الكاملة، التي لن يجدها إلا في الاتحاد بآلهه.

إن الحدث العظيم والمؤسس للخروج، له إذن معنى ديني وسياسي في الوقت نفسه، الله يحرر شعبه، يعطيه أحفاداً، وأرضاً وناموساً. ولكن يتم ذلك داخل عهد ولأجل عهد. فلا يمكن عزل الجانب السياسي في حد ذاته. فمن الضروري اعتباره على ضوء مخطط إلهي ذات طبيعة دينية وكجزء لا يتجزأ من هذا المخطط (٣٤).

(٤٥) ناموس الله :

في مخططه الخلاصي، أعطى الله إسرائيل ناموسه. هذا الناموس، كان يحتوي، مع ما احتواه من الوصايا الأدبية التي تشمل أيضاً الوصايا العشر، معايير ثقافية ومدنية. هذه المعايير كان عليها أن تضبط حياة الشعب المختار من الله ليصبح شاهداً له بين الأمم.

فمن مجموع هذه القوانين، كانت محبة الله فوق كل شيء (٣٥) ومحبة القريب كمحبة الذات (٣٦) هاتان الوصيتان تشكلان مركز الوصايا. لكن العدالة التي كان عليها أن تنظم العلاقات بين الناس، والحق الذي كان تعبيراً فقهياً، ينتميان أيضاً إلى هذه الوصايا التي تميّز الناموس الكتابي. مجموعة القوانين وتعليم الأنبياء، وأيضاً المزامير ترجع باستمرار إلى الحق والعدل (٣٧) ففي هذا الإطار يجب أن ينظر إلى اهتمام الناموس الكتابي بالفقراء، المعوذين، الأرملة واليتيم، فعلى الجميع أن يعدلوا في معاملتهم بحسب الأوامر القانونية لشعب الله (٣٨) فإن المثال والتطبيق يوجدان أذن منذ ذلك الحين لمجتمع مرتكز على عبادة الرب ومؤسّس على العدل والحق اللذين تحركهما المحبة.

(٤٦) تعليم الأنبياء :

لم يتوقف الأنبياء عن تذكير إسرائيل بمتطلبات ناموس العهد. كما وضعوا في قلب الإنسان القاسي، مصدر التعديات المتكررة، وأعلنوا عهداً جديداً، فيه سيعدل الله القلوب وسينقش الله عليها ناموس روحه القدوس (٣٩).

فباعلانهم وتحضيرهم هذا العصر الجديد، ندّد الأنبياء بكل قوة بالمظالم المتكررة ضد الفقراء، وجعلوا من أنفسهم متحدثين باسم الله في صالح الفقراء. وكان على لسانهم يهوه هو الراعي الأعلى للصغار والمقهورين، وبشّروا بآن المسيح ستكون رسالته آن يدافع عنهم (٤٠). فإن موقف الفقير، موقف ظلم مخالف للعهد. لأجل ذلك فإن ناموس العهد يحميه بواسطة الأوامر التي تعكس موقف الله نفسه حينما حرر إسرائيل من عبودية مصر (٤١). فظلم الفقراء والصغار خطيئة مميتة كانت سبباً في فصم عرى العلاقة بين الخاطئ وبين الله.

(٤٧) فقراء يهوه :

ابتداء من كل أشكال الفقر والظلم والأحزان الواقعة على الناس، فإن الصديقين وفقراء يهوه كانوا يصعدون توسلاتهم في المزامير (٤٢) كانوا يتألمون في قلوبهم من العبودية التي أصبح فيها الشعب (زي الرقبة الغليظة) بسبب خطاياه، تحملوا الاضطهادات، والاستشهاد والموت،

لكنهم كانوا يعيشون على الرجاء بالخلاص. فوق كل ذلك وضعوا ثقتهم في يهوه الذي إليه فوّضوا شكواهم (٤٣).

إن فقراء يهوه يعرفون آن الاتحاد به (٤٤) هو أثمن ما يكون من الخير الذي فيه يجد الإنسان حريته الحقيقية (٤٥). بالنسبة إليهم، فإن الشر المأسوي الأكبر يكمن في فقدان هذا الاتصال مع الله. لأجل ذلك فإن معركتهم ضد الظلم تأخذ معناها العميق وفاعليتها في إرادتهم أن يكونوا متحررين من عبودية الخطيئة.

(٤٨) على عتبة العهد الجديد :

على عتبة العهد الجديد، فإن فقراء يهوه يعتبرون باكورة شعب متواضع وفقير يعيش على رجاء تحرير إسرائيل (٤٦). هذا الرجاء تشخص في وجه مريم العذراء التي تتغذّى عتبة العهد القديم. فهي تعلن بفرح مجيئ المسيح وتمجد الرب الذي يستعد لتحرير شعبه (٤٧). في نشيدها للرحمة الإلهية، العذراء المتواضعة، التي يتجه نحوها بكل تلقائية وبكل ثقة الشعب الفقير، يترنّم بسر الخلاص وقوته المحولة. الإيمان الحي عند الصغار يدرك كيف يعترف بسرعة بكل الغنى الخلاق لهذا النشيد (نشيد تعظم نفسي الرب) (٤٨).

ثانياً: المعنى الكريستولوچي للعهد القديم:

(٤٩) على ضوء المسيح :

حدث الخروج، والعهد الناموسي، وصوت الأنبياء وروحانية لفقراء يهوه لا يبلغوننا تمام معناهم إلا في المسيح. الكنيسة تقرأ العهد القديم على ضوء المسيح الذي مات وقام لأجلنا. فهي ترى وجهها المسبّق في شعب الله في العهد القديم الذي تجسد في جسد ملموس لأمة معينة تكونت سياسياً وثقافياً، وكانت في صلب التاريخ كشاهدة ليهوه أمام الأمم، حتى تمام الأزمنة التحضيرية. وفي اكتمال الأزمنة مع مجيئ المسيح، فإن أبناء إبراهيم مدعوون مع كل الأمم للدخول في كنيسة المسيح ليكونوا معها شعباً واحداً لله، شعباً روحياً وجامعاً.

ثالثاً: التحرير المسيحي:

(٥٠) البشرى السعيدة معلنة للفقراء :

يسوع يعلن الخبر السار لملكوت الله ويدعو الناس إلى التوبة (٥٠) "الفقراء يبشرون" متى ١١/٥ وحينما يأخذ المسيح على عاتقه كلام النبي (٥١) يظهر فعله المسياني لصالح الذين ينتظرون خلاص الله. أكثر من ذلك، فإن ابن الله الذي جعل نفسه فقيراً محبة فينا (٥٢) يريد أن نتعرف عليه في الفقراء والمتألمين والمضطهدين (٥٣). "كل ما فعلتموه في أحد إخوتي الصغار بي فعلتموه" متى ٢٥/٤٠ (٥٤).

(٥١) سرّ الفصح :

لكن المسيح قد حررنا بقوة سر فصحه قبل كل شيء (٥٥). فبطاعته الكاملة على الصليب، وبمجد قيامته، رفع حمل الله، خطيئة العالم، وفتح لنا طريق التحرير النهائي.

فبخدمتنا ومحبتنا، وأيضاً بتقدمة شدائدنا وآلامنا، نشترك نحن في ذبيحة المسيح الواحدة الفادية، متممين في جسدنا ما ينقص من آلام المسيح لأجل جسده الذي هو الكنيسة كولوسي ١/٢٤ في انتظار قيامة الأموات.

(٥٢) النعمة والمصالحة والحرية :

إن قلب التجربة المسيحية للحرية يوجد في الخلاص بنعمة الإيمان وبأسرار الكنيسة المقدسة. هذه النعمة تحررنا من الخطيئة وتدخلنا في دائرة الاتحاد بالله. وبموت المسيح وقيامته، قدم لنا الخلاص. وتجربتنا في المصالحة مع الآب هي ثمرة الروح القدس. فيظهر الله لنا على أنه الآب الرحوم، الذي أمامه نستطيع أن نتقدم بثقة كاملة بمصالحتنا معه (٥٦) وبقبولنا لسلام المسيح الذي لا يستطيع أن يعطيه العالم (٥٧)، نحن مدعوين أن نكون فعلة سلام بين جميع الناس (٥٨) ففي المسيح يمكننا أن نهزم الخطيئة والموت لا يفصلنا أبداً عن الله، وسينهدم أخيراً ساعة قيامتنا المشابهة لقيامة المسيح (٥٩). (العالم) نفسه الذي يعتبر

الإنسان مركزه وقمته، ينتظر آن يتحرر من عبودية الفساد ليشترك في الحرية المجيدة لأبناء الله. رومية ٨/٢١.

فمن الآن، فشل الشيطان، الذي كانت لديه قوة الموت، وأصبح عديم القدرة بفضل موت المسيح (٦٠) وأعطيت لنا علامات لرؤيتنا المسبّقة للمجد الآتي.

(٥٣) الكفاح ضد عبودية الخطيئة :

إن الحرية التي جلبها لنا المسيح بقوة الروح القدس، أعادت لنا قدرتنا على محبة الله فوق كل شيء واستمرارنا. في الاتحاد به. بعد أن سلبتنا الخطيئة هذه القدرة.

فقد تحررنا من الحب غير المرتب لذواتنا، الذي هو مصدر احتقارنا للقريب ومصدر علاقات السيطرة بين الناس. رغم ذلك، فحتى الرجوع المجيد للقائم من الأموات، سرّ الطغيان يعمل دائماً في العالم.

القديس بولس يحذرنا، "لقد حررنا المسيح لنصبح آحراراً: غلا ٥/١ فيجب إذن الصمود والكفاح حتى لا تسقط تحت الاستعباد. وجودنا هو معركة روحية من آجل الحياة بحسب الإنجيل كما بحسب أسلحة الله (٦١). ولكن نحن قد قبلنا القوة والتأكيد على انتصارنا على الشر، انتصار حب المسيح الذي لا يقاومه شيء (٦٢).

(٥٤) الروح والناموس :

يبشر القديس بولس بعطية الناموس الجديدة للروح في مقابل ناموس الجسد أو فلنقل ناموس الشهوة الذي يميل به إلى الشر ويجعله عاجزاً عن اختيار الخير (٦٣). هذا النقص في الإنسان بين النفس والجسد وهذا الضعف الباطني لا يبطل الحرية والمسئولية عن الإنسان ولكن يشوش ممارستها للخير. وهذا ما جعل الرسول يقول: "لا أصنع الخير الذي أريد وأعمل الشر الذي لا أريده" رومية ١٩/٧. فهو يتكلم بالأحرى عن "عبودية الخطيئة" و"عبودية الناموس"، لأنه بالنسبة للإنسان الخاطئ، فإن الناموس لأنه صعب عليه أن يتمثله باطنياً، يبدو أنه ناموس طاغ.

ومع ذلك، فإن القديس بولس يعترف بأن الناموس يحتفظ بطبيعته من أجل الإنسان، والإنسان المسيحي خاصة، لأن الناموس مقدس والوصية حسنة، عادلة وخيّرة، رومية ١٢/٧. فهو يعيد التأكيد على أهمية الوصايا العشر واضعاً إياها في علاقة مع المحبة التي هي كماله الحقيقي (٦٥) أضف إلى ذلك، أنه يعترف جيداً أن النظام القانوني ضروري لتنمية الحياة الاجتماعية (٦٦) ولكن الجديد الذي يبشر به بولس هو أن الله أعطانا ابنه الوحيد "لكي تتم فينا العدالة التي يتطلبها الناموس" رومية ٤/٨.

السيد المسيح نفسه نطق بوصايا الناموس الجديد في موعظته على الجبل، وبذبيحته على الصليب وقيامته المجيدة، قهر قوة الخطيئة وحصل لنا على نعمة الروح القدس الذي يجعل من الممكن المحافظة الكاملة على

شريعة الرب (٦٧) والبلوغ إلى المغفرة إذا وقعنا في الخطيئة. فالروح الذي يسكن في قلوبنا هو منبع الحرية الحقيقية وبذبيحة المسيح، فإن الوصايا الخاصة بالعبادة في العهد القديم أصبحت غير فاعلة. أما بالنسبة للمعايير القانونية المنظمة للحياة الاجتماعية والسياسية لإسرائيل، فإن الكنيسة الرسولية بصفتها ملكوت الله الذي بدأ على الأرض، رأت أنها غير ملتزمة بها وهذا جعل الجماعة المسيحية تفهم أن القوانين وأفعال السلطة الخاصة بالشعوب المختلفة، على الرغم من شرعيتها وكونها جديرة بالطاعة (٦٨) لا يمكن أن تأخذ طابعاً مقدساً، لأنها نبعت من هذه الشعوب نفسها فعلى ضوء الإنجيل، نرى كثيراً من البني الاجتماعية تحمل طابع الخطيئة وتبث تأثيرها الطغياني في المجتمع.

رابعاً: الوصية الجديدة:

(٥٥) الحب هو عطية الروح :

إن حب الله الموضوع في قلوبنا بالروح القدس، يتضمن حب القريب. يسوع ذكر أول الوصايا يقول: "(الثانية التي تشبهها، أحبب قريبك مثل نفسك)"، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء متى ٣٩ – ٤٠. ويضيف القديس بولس قائلاً إن المحبة هي كمال الناموس (٦٩). إن حب القريب لا يعرف حدوداً، فهو يمتد إلى محبة الأعداء والمضطهدين. الكمال وهو صورة كمال الآب الذي نحوه يصبو التلميذ يكمن في الرحمة (٧٠).

إن مثال السامري الصالح يبرهن أن الحب المليئ بالرأفة والذي يضع نفسه في خدمة القريب، يهدم الأفكار المسبقة التي تثير المجموعات العرقية أو الاجتماعية بعضها ضد بعض (٧١). كل كتب العهد الجديد تشهد لهذا الغنى الذي لا ينضب من المشاعر التي يحملها الحب المسيحي للقريب (٧٢).

(٥٦) محبة القريب :

إن محبة المسيح، المجانية والشاملة لنا تأخذ طبيعتها من حب المسيح الذي جاد بحياته لأجلنا، "أحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم" (٧٣). يو ١٣/٣٤ - ٣٥ هذه هي الوصية الجديدة الموجهة إلى التلاميذ.

وعلى ضوء هذه الوصية، يذكّر القديس يعقوب، بقسوة، الأغنياء بواجبهم (٧٤) ويؤكد القديس يوحنا أن الذي يمتلك ثروات هذا العالم، ويحبس أحشاءه عن أخيه في الضرورة، لا يمكن أن يكون حب الله في قلبه (٧٥). إن حب القريب هو حجر الأساس لحب الله، "إن الذي لا يحب أخاه الذي يراه، لا يعرف محبة الله الذي لا يراه" ١ يو ٤/٢٠ ويشير القديس بولس بكل قوّة إلى العلاقة القائمة بين الاشتراك في سر جسد ودم المسيح ومشاركة القريب المحتاج (٧٦).

(٥٧) العدالة والمحبة :

إن الحب الإنجيلي والدعوة لبنوّة الله الموجهة لكل الناس ينتج عنها التزام مباشر وفعّال باحترام كل كائن بشري وكل حقوقه في الحياة والكرامة. فلا توجد مسافة بين حب القريب وإرادة العدالة. إن المقابلة بين الحب والعدالة هو تشويه لهما. أكثر من ذلك، فإن معنى الرحمة يكمّل معنى العدالة إذ يمنعها من الانغلاق على دائرة الانتقام.

إن المظالم الكئيبة والقهر بكل آشكالهما اللذان يضربان ملايين من الرجال والنساء اليوم هما في تناقض تام مع إنجيل المسيح، ولا يمكنهما أن تترك ضمير أي مسيحي هادئاً.

إن الكنيسة في طاعتها للروح، تتقدم بكل أمانة نحو طرق التحرر الحقيقي. أعضاؤها يعون مقدار ضعفهم وتأخيرهم في هذا المضمار.

ولكن حشداً كبيراً من المسيحيين، منذ عصر الرسل، سخروا قوتهم وحياتهم لتحرير الإنسان من كل قهر ولترقية الكرامة البشرية.

إن تجربة القديسين والأمثلة الكثيرة للمنجزات التي تتم في خدمة القريب تشكّل حافزاً وضوءاً للمبادرات المحررة التي تفرض نفسها اليوم.

خامساً: الكنيسة شعب الله للعهد الجديد:

(٥٨) نحو الحرية الكاملة :

إن شعب الله للعهد الجديد هي كنيسة المسيح. ناموسها هو وصية المحبة. الروح يسكن في قلب أعضائها كما يسكن في معبد، هو البذرة والبداية للكوت الله على الأرض التي سيأتي تماماً في نهاية الأزمنة بقيامة الأموات وتجديد الكون كله (٧٧).

بامتلاكه لسلاح الروح، فإن شعب الله متوجّه نحو كمال الحرية، أورشليم الجديدة التي ننتظرها بكل حرارة، تسمى وبحق مدينة الحرية بالمعنى السامي (٧٩). حينئذ "يمسح الله كل دمعة والموت والبكاء، والأنين، لن يوجد كل ذلك لأن العالم القديم قد مضى" رؤيا ٢١/٤. الرجاء هو الانتظار الأكيد "لسموات جديدة وأرض جديدة حيث يسكن العدل" ٢ بطرس ٣/١٣.

(٥٩) اللقاء النهائي مع المسيح :

إن تجلّي الكنيسة بواسطة المسيح القائم في نهاية المطاف لا يلغي أبداً المصير الشخصي لكل فرد في نهاية حياته. فكل إنسان وجد مستحقاً أن يدنو من عرش المسيح لأنه استخدم استخداماً حسناً النعمة التي أُعطيت له من الله سينال السعادة (٨١). إن العطية الإلهية للسعادة الأبدية هي أقصى ما يمكن أن يتصوره إنسان للحرية.

(٦٠) الرجاء الإسكاتولوجي والالتزام من أجل التحرير الزمني :

الرجاء الإسكاتولوچي لا يضعف عملية الالتزام بتقدم المدنية الأرضية ولكن على العكس يعطي هذا الالتزام معناه وقوته. من المناسب تماماً أن نميز بدقة بين التقدم الأرضي ونمو الملكوت. فهما ليس من نفس المستوى. وعلى كل حال، هذا التمييز ليس فصلاً بينهما لأن دعوة الإنسان إلى الحياة الأبدية لا تلغي مهمته في حشد الطاقات لتنمية الوسائل المناسبة التي قبلها من الخالق، بل تؤكد هذه المهمة لتنمية حياته الزمنية (٨٢). إن كنيسة المسيح، التي أنارها روح الرب تستطيع أن تميّز، في علامات الأزمنة، بين تلك العلامات الواعدة بالتحرير والعلامات الأخرى الخادعة والوهمية. فهي تدعو الإنسان والمجتمعات للانتصار على مواقف الخطيئة والظلم، كما تدعوه لتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق الحرية الحقيقية. كما تعي الكنيسة أن كل هذه الخيرات، الكرامة الإنسانية، والاتحاد الأخوي، والحرية التي تكون معاً ثمرة الجهود المطابقة لإرادة الله، سنجدها "مغسولة من كل عيب، منيرة ومتجلية، حينما يسلّم المسيح إلى الآب الملك الأبدي الشامل (٨٣) الذي هو مملكة للحرية".

إن الانتظار اليقظ والفعّال لمجيء الملكوت هو أيضاً انتظار للعدالة الكاملة من أجل الأحياء والأموات، لأجل الإنسان في كل العصور وكل الأماكن. هذه العدالة سيقيمها يسوع المسيح. الذي أعطى له أن يكون القاضي الأعلى (٨٤). مثل هذا الوعد الذي يتعدى كل الامكانات البشرية، يخص حياتنا في هذا العالم مباشرة. لأن العدالة الحقيقية

يجب أن تمتد إلى الجميع، وأن تحمل الإجابة على مجموع الآلام الضخمة التي عانت منها جميع أجيال البشر. في الواقع، لا توجد عدالة بكل معنى الكلمة، دون قيامة الأموات وقضاء الرب.

إن الوعد بالقيامة يأتي مجاناً للقاء الأمنية التي تسكن قلب الإنسان والتي تصبو إلى العدالة الحقيقية.

الفصل الرابع

الرسالة المحرِّرة للكنيسة

(٦١) الكنيسة وقلق الإنسان :

إن الكنيسة لديها الإرادة الثابتة في الرد على قلق الإنسان المعاصر الذي يعاني من القهر الشديد ويهتم بقضية الحرية. إن الإدارة السياسية والاقتصادية للمجتمع لا تدخل مباشرة في مهمة الكنيسة (٨٥) لكن الرب يسوع ائتمنها على كلمة الحقيقة القادرة على أنارة الضمائر. والحب الإلهي الذي هو حياتها، يدفعها إلى أن تتضامن بشكل حقيقي مع كل الناس المتألمين. وإذا كان أعضاء الكنيسة يظلّون أمناء على رسالتهم فإن الروح القدس، منبع كل حرية، سيسكن فيهم، وسيثمرون ثمار العدل والسلام في أوساطهم العائلية والمهنية والاجتماعية.

أولاً: من أجل السلام الكامل للعالم:

(٦٢) التطويبات وقوة الإنجيل :

الإنجيل هو قوة الحياة الأبدية المعطاة لمن يتقبلونه (٨٦) هذه القوة بولادتها لأناس جدد (٨٧) تخترق تاريخ الجماعة الإنسانية، تطهّر وتحي الأنشطة المختلفة لهذه الجماعة، ومن هنا تصبح "خميرة ثقافية" (٨٨).

التطويبات التي بشّر بها يسوع تعبّر عن كمال الحب الإنجيلي، ولم يتوقف عديد من المعمدين، عن تطبيقها في حياتهم على امتداد تاريخ الكنيسة كما يعيشها الآن، القديسون، بطريقة مشعة.

ابتداء من أول تطويبة، تلك الخاصة بالفقراء، فإن بقية التطويبات تتشكل كلا لا يجب فصله عن مجمل النص الخاص بالعظة على الجبل (٨٩) ويسوع الذي هو موسى الجديد يشرح الوصايا العشر وناموس العهد باعطانهما معناهما النهائي والكلّي. فحينما نقرأ التطويبات ونفسرها في شمول الإطار التي أُعطيت فيه. نجدها تعبر عن روح ملكوت الله الآتية.

ولكن على ضوء المصير النهائي للتاريخ البشري كما يبدو هنا. تظهر في الوقت نفسه. بوضوح حيوي، أسس العدالة في مستواها الزمني.

لأنه بتعليم الثقة التي تقوم على الله، والرجاء في الحياة الأبدية ومحبة العدالة، والرحمة التي تصل إلى حد المغفرة والمصالحة، فإن التطويبات تسمح لنا بأن نحدد النظام الزمني بالنسبة إلى النظام السامي. هذا النظام السامي يعطي له المعنى والمقياس الصحيح للنظام الزمني دون أن يقلل من شأنه.

وعلى ضوء التطويبات أيضاً، فإن الالتزام الضروري بالمهمات الدنيوية الخاصة بخدمة القريب وخدمة الجماعة البشرية، شيء مطلوب بصفة عاجلة ويجب المحافظة عليه في اطاره الصحيح. فالتطويبات تحمي من عبادة أصنام الخيرات الأرضية ومن الظلم الذي يفضي إليه البحث المحموم عن هذه الخيرات (٩٠) كما أنها تحول مجرى البحث الوهمي المخرب عن عالم كامل لأن وجه هذا العالم يمضي ١ كور ٧/٣١.

(٦٣) اعلان الخلاص :

إن الرسالة الجوهرية للكنيسة، على مثال المسيح، هي رسالة مبشّرة وخلاصية (٩١) هذه الرسالة تستقي دفعتها الروحية من المحبة الإلهية، فالتبشير هو اعلان الخلاص كعطية من الله. فالإنسان، بواسطة كلمة الله والأسرار المقدسة، يتحرر من سيطرة الخطيئة ومن سيطرة الشرير اللذين يطغيان عليه، ويدخل في اتحاد محبة مع الله. فالكنيسة على مثال سيّدها الذي "أتى إلى العالم ليخلص الخطأة" (١ تيمو ١/١٥) تريد خلاص كل البشر.

وفي هذه الرسالة، الكنيسة تعلم الإنسان الطريق الذي عليه أن يسلكه في هذا العالم ليدخل ملكوت الله. فإن عقيدتها تمتد أذن إلى المستوى الأخلاقي. وبصفة خاصة إلى العدالة التي يجب أن تنظم العلاقات البشرية. فهذا جزء لا يتجزأ من البشرى الإنجيلية.

الحب يدفع الكنيسة إلى أن تعطي الجميع فرصة المشاركة في نعمة الحياة الإلهية، هذا الحب يجعلها أيضاً، بالعمل الفعال لأعضائها، تتابع الخير الدنيوي الحقيقي للبشر، وتقوم بمساعدتهم في ضرورات حياتهم، وتساعدهم في تأمين ثقافتهم، وتعمل على ترقية التحرير الشامل من كل ما يعوق تنمية الأشخاص. تريد الكنيسة خير الإنسان في أبعاده المختلفة أولاً بصفته عضواً في مدينة الله ثم بصفته عضواً في المدينة الأرضية.

(٦٤) التبشير وترقية العدالة :

فالكنيسة حينما تتكلم عن ترقية العدالة في المجتمعات البشرية، أو حينما تلزم المؤمنين العلمانيين بالعمل في مجال العدالة بحسب دعوتهم الخاصة لا تخرج هنا عن رسالتها. وهي مهتمة في الوقت نفسه بأن هذه الرسالة لا تستنفذ قواها في الانشغالات التي تهتم بالنظام الدنيوي. ولا تقتصر عليه وحده. ولهذا السبب فهي مهتمة بأن تتمسك بكل وضوح وثبات بالوحدة، وفي الوقت نفسه، بالتمييز بين البشر والترقية الإنسانية: تهتم بالوحدة لأنها تبحث عن خير الإنسان بكامله، تهتم بالتمييز، لأن هاتين المهمتين "التبشير والترقية" تدخلان من منطلقين مختلفين في مهمتها.

(٦٥) الإنجيل والحقائق الأرضية :

إن الكنيسة بمتابعتها لغايتها الخاصة، تنشر نور الإنجيل على الحقائق الأرضية، بطريقة تجعل الشخص البشري يشفق عن بؤسه ويرتفع في الكرامة من هنا، فإن تلاحم المجتمع بواسطة العدالة والسلام يتحقق ويتوطد (٩٢). تبقى إذن الكنيسة أمينة على رسالتها حينما تفضح الانحرافات والعبوديات والطغيان التي يكون الإنسان ضحيتها. كما تبقى أيضاً أمينة في رسالتها حينما تعترض على محاولات إقامة شكل من أشكال الحياة الاجتماعية يكون الله فيه غائباً، وذلك سواء أكان

أمام اعتراضات واعية أو بسبب اهمال مذنب (٩٣) تبقى أخيراً أمينة في رسالتها، حينما تمارس حكمها فيما يخص الحركات السياسية التي تكافح ضد الشقاء والطغيان بحسب نظريات ومناهج عمل مضادة للإنجيل ومتعارضة مع مصلحة الإنسان نفسه (٩٤).

بكل تأكيد، فإن الأخلاق الإنجيلية بفضل طاقات النعمة، تحمل إلى الإنسان آفاقاً جديدة ومتطلبات جديدة. كما أن الأخلاق الإنجيلية تأتي لتكمل ما نقص من البعد الأخلاقي، وترفعه، هذا البعض الذي ينتمي أصلاً إلى الطبيعة البشرية والتي تهتم به الكنيسة، مع علمها بأنه إرث مشترك لكل الناس بصفتهم بشراً.

ثانياً: أفضلية حب الفقراء:

(٦٦) يسوع والفقر :

المسيح يسوع، من الغني الذي كان فيه، جعل نفسه فقيراً ليغنينا بواسطة فقره (٩٥) يتحدث القديس بولس هنا عن سرّ تجسد الابن الأبدي الذي أتى ليأخذ الطبيعة الإنسانية الميتة ليخلص الإنسان من الشقاء والخطيئة التي أغرقته في هذا الشقاء. أكثر من ذلك، في وضعه البشري، اختار المسيح حالة الفقر والعوز (٩٦) حتى يبين لنا على أي شيء يحتوي الغنى الحقيقي، غنى الاتحاد بحياة الله. فهو علّمنا التجرد من الغنى الأرضي لنرغب في الغنى السماوي (٩٧). والرسل الذين

اختارهم كان عليهم أن يتركوا هذا الغنى الأرضي ويقاسموه العوز (٩٨).

أعلن النبي أن يسوع مسيح الفقراء (٩٩) وعند المتواضعين - فقراء يهوه - العطاش إلى عدالة الملكوت، وجد المسيح قلوباً تستقبله. ولكنه أراد أن يجعل نفسه أيضاً قريباً حتى من الأغنياء بالخيرات الأرضية، المنبوذين من الجماعة، مثل (العشارين والخطأة) لأنه أتى أيضاً لدعوتهم إلى التوبة (١٠٠) وشمل يسوع في تطويبة الفقر الذي يبني التجرد والثقة بالله والاعتدال والاستعداد للمشاركة.

(٦٧) يسوع والفقراء :

لكن يسوع لم يحمل لنا فقط النعمة والسلام من الله، فهو شفى أيضاً عدداً لا يُحصى من المرضى، وأشفق على الجموع التي لم يكن لها شيء تأكله. ومارس الزكاة مع التلاميذ الذين تبعوه (١٠١) بالتطويبة التي أعلنها والخاصة بالفقراء لا يمكنها على أي حال أن تعني أن المسيحيين يمكنهم عدم الاهتمام بالفقراء المجردين مما هو ضروري لحياة الإنسان في هذا العالم. فهذا الشقاء شرّ وهو ثمرة خطيئة البشر، نتيجة لضعفهم الطبيعي، ويجب تحرير البشر منه بقدر الإمكان.

(٦٨) أفضلية محبة الفقراء :

إن الشقاء البشري، تحت أشكاله المتعددة: العوز المادي والطغيان غير العادل والعاهات الجسمية والنفسية وأخيراً الموت، وهو العلامة الظاهرة لطبيعة الضعف الفطرية التي يجد فيها الإنسان نفسه منذ الخطيئة الأولى وعلامة احتياجه للخلاص.

من أجل ذلك، جذب هذا الشقاء شفقة المسيح المخلص الذي أراد أن يأخذه على عاتقه (١٠٢) وأن يتماثل مع أصغر أخوته متى ٢٥/٤٠ – ٤٥ من أجل هذا أيضاً فإن كل ضحايا هذا الشقاء هم موضع محبة خاصة من طرف الكنيسة، التي منذ البداية وعلى الرغم من تقصير كثير من أعضائها لم تكف عن العمل على تخفيف هذا الشقاء عن كاهل الذين يعانون منه وعن الدفاع عنهم وتحريرهم منه. فهي صنعت ذلك من خلال مؤسسات البر التي لا حصر لها، التي لا يمكن الاستغناء عنها (١٠٣). وبواسطة عقيدتها الاجتماعية، التي تحاول أن تطبقها، فإن الكنيسة حاولت أن تحدث تغييرات بنيوية في المجتمع لتوفر الظروف الحياتية الكريمة للشخص البشري.

إن تلاميذ المسيح، بترفعهم عن الثروة الذي يسمح بالمشاركة ويفتح بمحبتهم للفقراء والبائسين، شهادة لمحبة الآب نفسه التي ظهرت في المخلص. فهذا الحب يأتي من الله ويتجه إلى الله. إن تلاميذ المسيح اعترفوا دائماً بأن العطايا المقدمة إلى الهيكل هي العطية المقدمة إلى الله نفسه.

إن الكنيسة، بمحبتها للفقراء، تشهد لكرامة الإنسان. وهي تؤكد بذلك أن الإنسان له قيمة في ذاته أكثر من قيمته في ملكيته للأشياء. وهي تشهد أن هذه الكرامة لا يمكن أن تهدم، مهما كان الإنسان يعيش في الشقاء، أو الاحتقار أو في الرفض أو العجز. والكنيسة تتضامن مع من لا وزن لهم في المجتمع والملفوظين منه روحياً أو حتى جسدياً.

وبصفة خاصة، فإنها تحنو بعطف أموي على الأطفال، الذين بسبب الشر البشري، لن يروا أبداً النور، كما تحنو أيضاً على المعجزة والمعزولين والمتروكين.

إن اختيار الفقراء بصفة خاصة، بعيداً عن أن يكون علامة للاستثناء أو التشنيع، يظهر شمولية الكائن البشري وشمولية رسالة الكنيسة. إنه خيار لا يستبعد أحداً.

من أجل هذا السبب، فإن الكنيسة لا تستطيع أن تعبّر عن هذا الاختيار بواسطة مقولات اجتماعية وأيديولوچية تصغّر من شأنه وتجعل من هذه الأفضلية في خدمة الفقراء اختياراً متحزباً ذات طبيعة صراعية.

(٦٩) الجماعات الكنسية للقاعدة الشعبية والتجمعات المسيحية الأخرى :

إن الجماعات الكنسية الجديدة للقاعدة الشعبية والمجموعات المسيحية الأخرى التي قامت لتصبح شاهدة على هذا الحب الإنجيلي تعتبر سبباً

للرجاء الذي يغمر الكنيسة. إذا عاشت هذه الجماعات والمجموعات المسيحية متحدة بحق مع الكنيسة المحلية والكنيسة الجامعة فإنها تصبح تعبيراً حقيقياً عن الاتحاد كما تصبح وسيلة لبناء وحدة أكثر عمقاً (١٠٥).

هذه المجموعات تكون أمينة على رسالتها بالقدر الذي تكون فيه مهتمة بتربية أعضائها على كمال الإيمان المسيحي، بواسطة الاستماع إلى كلام الله، والأمانة نحو تعليم السلطة العقائدية للكنيسة، واحترام النظام الرتبي للكنيسة وحياة الأسرار المقدسة. في هذه الظروف. فإن تجربتهم الراسخة في الالتزام من أجل التحرير الشامل للإنسان تصبح مصدر غنى للكنيسة بأكملها.

(٧٠) التفكير اللاهوتي :

وبالمثل، فإن التفكير اللاهوتي النابع من تجربة خصوصية يمكن أن يشكّل مساهمة إيجابية للغاية، لأنه يسمح بتوضيح بعض أوجه كلام الله الذي لا ندرك كل الغنى الذي فيه. ولكن حتى يصبح هذا التفكير قراءة حقيقية للكتاب المقدس، وليس اسقاط معان لا يحتويها كلام الله، فإن على اللاهوتي أن يدقق في تفسير التجربة التي ينطلق منها، وذلك بفهمها على ضوء تجربة الكنيسة نفسها. فهذه التجربة الكنيسة تشع بذور فريد وصاف في حياة القديسين. وعلى رعاة الكنيسة باتحاد مع خليفة بطرس أن يميزوا أصالة هذه التجربة.

الفصل الخامس

العقيدة الاجتماعية للكنيسة

من أجل ممارسة تحرير مسيحية

(٧١) الممارسة المسيحية للتحرير :

إن البعد الخلاصي للتحرير لا يمكن قصره على البعد الاجتماعي الأخلاقي الذي هو احدى نتائجه. إن التحرير الجذري الذي قام به المسيح، والذي أعاد الحرية الحقيقية للإنسان حدد له مهمة: الممارسة المسيحية التي هي وضع وصية المحبة الكبرى موضع التنفيذ. هذه الوصية هي المبدأ الأعلى للأخلاق الاجتماعية المسيحية، المؤسس على الإنجيل وكل التقليد منذ الأزمنة الرسولية وعصر آباء الكنيسة حتى التعاليم الحديثة للسلطة العقائدية في الكنيسة. إن المحتويات الكبرى لعصرنا تشكّل دعوة عاجلة لوضع عقيدة العمل هذه موضع التنفيذ.

أولاً: طبيعة العقيدة الاجتماعية للكنيسة:

(٧٢) الرسالة الإنجيلية والحياة الاجتماعية :

إن التعليم الاجتماعي للكنيسة ولد من مقابلة الرسالة الإنجيلية ومتطلباتها، التي يمكن تلخيصها في الوصية العظمى لمحبة الله ومحبة القريب والعدالة بين الناس، بالمشاكل النابعة من حياة المجتمع.

نشاهد التعليم الاجتماعي كعقيدة، تستخدم مصادر الحكمة والعلوم الإنسانية بالوجهة الأخلاقية لهذه الحياة التي نعيشها، كما تأخذ في الاعتبار الجوانب التقنية للمشاكل، ولكن كي تقيمها من زاوية أدبية.

هذا التعليم، بتوجهه الجوهري نحو الجانب العملي للحياة، ينمو في علاقة مع الظروف المتغيّرة للتاريخ. ولهذا السبب، وبالرغم من المبادئ التي تحتفظ بقيمتها، فإنه يحتوي على أحكام عارضة وبدلاً من أن يكوّن نظاماً مغلقاً على ذاته، فإنه يظل بصفة مستمرة متفتحاً على المشاكل المستجدة التي تظهر دائماً، ويتطلب معاونة كل المواهب والتجارب والمهارات.

الكنيسة، بصفتها ذات خبرة في الإنسانية، تقدّم في عقيدتها الاجتماعية، مجموعة من "مبادئ التفكير" و"معايير للحكم" (١٠٧)، وأيضاً بعض التوجيهات العملية (١٠٨) حتى التغييرات العميقة التي تتطلبها مواقف الشقاء والظلم تتم بطريقة تخدم الخير الحقيقي للبشر.

(٧٣) مبادئ أساسية :

إن وصية المحبة العظمى تقود إلى الاعتراف الكامل بكرامة كل إنسان مخلوق على صورة الله. من هذه الكرامة تنبع حقوق وواجبات طبيعية. فعلى ضوء صورة الله، الحرية التي هي امتياز جوهري للشخص الإنساني. تظهر بكل عمقها. والأشخاص هم الفاعلون النشطون والمسئولون عن الحياة الاجتماعية (١٠٩).

فعلى الأساس الذي هو كرامة الإنسان نجد مبدأ التضامن ومبدأ التعاون مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بهذه الكرامة.

فبمقتضى المبدأ الأول على الإنسان أن يساهم مع أنداده في الخير العام للمجتمع على كل المستويات (١١٠). من هنا، فإن عقيدة الكنيسة تتعارض مع كل أشكال الفردية الاجتماعية والسياسية.

وبمقتضى المبدأ الثاني، فلا الدولة ولا أي مجتمع آخر يحل محل المبادرة والمسئولية المنوطة بالأشخاص والجماعات الوسيطة، على المستوى الذي تستطيع أن تعمل فيه، كما لا يمكن هدم المجال الضروري لحريتهم (١١١).

بهذا فإن العقيدة الاجتماعية للكنيسة تعارض أيضاً كل الأشكال الشمولية.

(٧٤) معايير للحكم :

هذه المبادئ هي أساس "المعايير للحكم على المواقف" أو "الهياكل" و"الأنظمة" الاجتماعية.

وعليه، فالكنيسة لا تتردد في فضح (المواقف) الحياتية التي تضر بكرامة وحرية الإنسان.

هذه المعايير تسمح أيضاً بالحكم على قيمة "الهياكل" "الاجتماعية السياسية – إلخ".

هذه الهياكل هي مجموع المؤسسات التي يجدها الإنسان أو يخلقها سواء على الصعيد الوطني أو العالمي، والتي توجّه أو تنظّم الحياة

الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وهي، في حد ذاتها ضرورية ولكنها تميل إلى التجمد في الغالب لتصبح مجموعة من الآليات المستقلة نسبياً عن إرادة الإنسان، فتشل بذلك أو تشوّه عملية التنمية الاجتماعية، مخلفة وراءها الظلم. إلا أن هذه الهيكليات تتعلق دائماً بمسئولية الإنسان الذي يستطيع أن يغيرها ولا تتعلق بما يسمى بحتمية تاريخية.

إن المؤسسات والقوانين، حينما تتطابق مع القانون الطبيعي وتنتظم لصالح المصلحة العامة، تصبح ضمانات لحرية الأشخاص وترقيتها. فلا يمكن أن ندين كل الأوجه العارضة للقانون ولا للدولة المستقرة على القانون والجديرة بهذا الاسم. فيمكننا أن نتكلم عن هياكل موسومة بالخطيئة، ولكننا لا يمكن أن نحكم على الهياكل فقط في حد ذاتها بمعزل عن الخطيئة.

إن معايير الحكم تهم أيضاً النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. فالعقيدة الاجتماعية للكنيسة لا تقترح نظاماً بعينه، ولكن على ضوء مبادئها الأساسية، تسمح لنا بأن نرى أولاً إلى أي مدى هذه النظم الموجودة تتطابق مع متطلبات الكرامة الإنسانية.

(٧٥) أولوية الأشخاص على الهياكل (الاجتماعية - الاقتصادية) :

إن الكنيسة واعية بكل تأكيد إلى حجم تعقد المشاكل التي تواجهها المجتمعات وإلى الصعوبات التي تقابلها هذه المجتمعات لإيجاد الحلول المناسبة لها. في هذه الأثناء، فإن الكنيسة ترى أنه يجب توجيه النظر

أولاً إلى القدرات الروحية والأدبية للشخص وإلى الالتزام المتواصل بالارتداد الداخلي إذا كنا نريد أن نحصل على تغييرات اقتصادية واجتماعية تسخر حقيقة لخدمة الإنسان.

إن الأولوية المعطاة إلى الهياكل بأنواعها المختلفة والتنظيم التقني على حساب الشخص ومتطلبات كرامته هي تعبير عن نظرة مادية لعلم الإنسان، وهي متعارضة مع الرغبة في بناء نظام اجتماعي عادل (١١٢).

فالأولوية التي تعترف بالحرية وتغيير القلب لا تبطل أبداً ضرورة تغيير البنى غير العادلة. لذلك فإنه شيء مشروع جداً أن الذين يتألمون من طغيان القابضين بزمام الثروة أو السلطة السياسية أن يعملوا، بوسائل مشروعة أخلاقياً ومحللة، لكي يحصلوا على هياكل ومؤسسات تكون فيها حقوقهم محترمة ومصانة.

يبقى أن الهياكل المقامة لخير الأشخاص لا تستطيع وحدها أن تعطي الخير أو حتى تضمنه. فإن الفساد الذي يحيق، في بعض البلدان بالحكام وبيروقراطية الدولة والذي يهدم كل حياة اجتماعية شريفة لأكبر دليل على ذلك. إن عقيدة الأخلاق شرط ضروري لصحة المجتمع. فيجب العمل إذن على تغيير القلوب من ناحية، وتحسين الهياكل من ناحية أخرى، لأن الخطيئة هي الأصل في وجود المواقف الظالمة وهي في حقيقة الأمر وقبل كل شيء، فعل إرادي يجد مصدره في حرية الشخص، ويمكن تطبيق مفعول الخطيئة بشكل فرعي وثانوي على الهياكل، وفي هذه الحالة يمكن الحديث عن "خطيئة اجتماعية" (١١٣).

من جهة أخرى، فإننا لا يمكن أن نغض النظر عن الموقع التاريخي للأمة أو نعتدي على الشخصية الثقافية للشعب. وفي النتيجة فإنه لا يمكننا أن نقبل بسلبية ولا بروح إيجابية أن نساند مجموعات تستطيع بقوة تلاعبها بالرأي العام أن تستولي على جهاز الدولة وتفرض على الجميع، أيديولوجية مستوردة تتعارض مع القيم الثقافية الحقيقية للشعب (١١٤). وفي هذا الصدد، من المناسب أن نذكّر بالمسئولية الأدبية والسياسية الخطيرة التي تقع على عاتق المثقفين.

(٧٦) توجيهات عامة :

إن المبادئ الأساسية ومعايير الحكم تلهمنا "التوجيهات العملية": فبما أن الخير المشترك للمجتمع الإنساني هو في خدمة الأشخاص، فإن الوسائل العملية يجب أن تكون متفقة مع كرامة الإنسان وفي صالح تقويم الحريّة. هذا يعد معياراً أكيداً للحكم وللعمل: فلا يوجد تحرير حقيقي طالما الحقوق الخاصة بالحريات لا تحترم.

يجب فضح هذا الوهم الهدّام، الذي يرى في اللجوء المنظّم للعنف الطريف الضروري للتحرير، فهذه النظرة تفتح الطريق إلى عبوديات جديدة. فيجب الإدانة بنفس الشدّة للعنف الذي يمارسه أصحاب الأملاك ضد الفقراء واللجوء العشوائي للطرق البوليسية وكل أشكال العنف المنظّم التي تمثلها بعض الحكومات.

في هذا المجال، يجب أن نستخلص العبرة من التجارب المأساوية التي عرفها وما زال يعرفها التاريخ في هذا القرن. وعلينا ألا نقبل السلبية المذنبة للسلطات العامة في بلاد الديمقراطيات حيث الوضع الاجتماعي للكثير من الرجال والنساء يظل بعيداً عن المستوى الذي تتطلبه الحقوق الفردية والاجتماعية التي يتضمنها الدستور.

(٧٧) كفاح من أجل العدالة :

إن الكنيسة حتى تشجع تكوين الجمعيات وعملها. مثل النقابات التي تكافح من أجل الدفاع عن الحقوق والمصالح المشروعة للعمال وتحقيق العدالة الاجتماعية. فإنها لا تقبل بالنظرية التي ترمي في الصراع الطبقي المحرّك البنيوي للحياة الاجتماعية. إن العمل الذي تنصح به ليس هو صراع طبقة ضد أخرى في سبيل القضاء على الخصم. هذا العمل لا ينطلق من الخضوع الشاذ لما يدّعي أنه قانون التاريخ. فهو صراع نبيل ومتزن في سبيل العدالة والتضامن الاجتماعي (١١٥). إن المسيحي يفضل دائماً طريق الحوار والتوافق. إن المسيح أعطانا وصية محبة الأعداء (١١٦) فالتحرير في إطار الروح الإنجيلية يتنافر إذن مع كراهية الآخر، سواء كان الآخر فرداً أم جماعة، بما فيهم كراهية العدو.

(٧٨) أسطورة الثورة :

هناك مواقف من الظلم الصارخ تستدعي شجاعة الإصلاح من العمق وإلغـاء الامـتـيـازات التي لا مـبـرر لهـا. لكن الذين يحطّون من طريق الإصلاح لصالح أسطورة الثورة، فإنهم لا يغذون فقط الوهم القائل بأن القضاء على الموقف الجائر في حد ذاته كاف لخلق مجتمع أكثر إنسانية، ولكنهم يمهّدون الطريق لمجيء الأنظمة الشمولية (١١٧). إن الكفاح ضد المظالم لا معنى له إلا إذا كان ذلك في صالح إقامة نظام اجتماعي وسياسي جيد يتطابق مع متطلبات *العدالة*. هذه *العدالة* يجب أن تطبع مراحل إقامة هذا النظام. لأنه توجد أخلاقيات للوسائل المستخدمة في إقامة نظام ما (١١٨).

(٧٩) الملجأ الأخير :

يجب أن تطبق هذه المبادئ بشكل استثنائي في الحالات القصوى للجوء إلى الكفاح المسلح المشار إليه بواسطة السلطة العقائدية للكنيسة كعلاج أخير لوضع حد لطغيان واضح وطويل قد ينتهك بشكل خطير الحقوق الأساسية للشخص ويغير بشكل فادح للمصلحة العامة لبلد ما (١١٩). وعلى كل حال فإن التطبيق العيني لهذه الوسيلة لا يمكن أن يتم إلا بعد تحليل دقيق للموقف. فبسبب النمو المستمر للتقنيات المستخدمة في الكفاح المسلح وتعاظم خطورة الأخطار التي يتضمنها اللجوء إلى

العنف، فإن ما يسمى اليوم (بالمقارنة السلبية) يفتح طريقاً أكثر مطابقة للمبادئ الأخلاقية وليس أقل احتمالاً للنجاح من الطريقة الأخرى.

لا يمكن أبداً، سواء بالنسبة للسلطة القائمة أو بالنسبة للمجموعات المتمردة على السلطة، اللجوء إلى وسائل اجرامية مثل الأعمال الانتقامية ضد الشعوب والتعذيب والطرق الإرهابية والتحرش المحسوب بالمظاهرات الشعبية للوصول إلى قتل إنسان. أيضاً فإن حملات الافتراء البغيضة التي يمكنها أن تحطم الإنسان نفسياً وأدبياً غير مقبولة.

(٨٠) دور العلمانيين :

ليس من مهام رعاة الكنيسة التدخل المباشر في البناء السياسي وتنظيم الحياة الاجتماعية. فهذه المهمة هي جزء من دعوة العلمانيين في المجتمع بمبادراتهم الخاصة مع مواطنيهم (١٢٠) فعليهم أن يتمموا هذه المهمّة واعين بأن غاية الكنيسة هي نشر ملكوت المسيح من أجل أن يخلص كل البشر، وأن يصبح العالم بواسطتهم مؤسساً على المسيح (١٢١).

إن عمل الخلاص يبدو مرتبطاً وبصورة غير قابلة للانحلال بمهمة تحسين ورفعة ظروف الحياة الإنسانية في هذا العالم. إن الفصل بين ما هو فائق للطبيعة وما هو زمني متعلق بحياة الإنسان، في مشروع الخلاص يجب أن ينظر إليه في إطار المشروع الخلاصي الواحد الذي يلخص كل شيء في المسيح. من أجل ذلك فإنه في كلتا الحالتين،

العلماني هو في الوقت نفسه مؤمن ومواطن، وعليه أن يجعل نفسه مقاداً بضميره المسيحي (١٢٢).

فالعمل الاجتماعي الذي يفترض تعددية الطرق العينية. يجب أن يأخذ في الاعتبار دائماً المصلحة المشتركة وأن يكون مطابقاً للرسالة الإنجيلية ولتعاليم الكنيسة وليتجنب أن يكون اختلاف الهدف مُضراً بمعنى التعاون، أو يقود إلى شلل المجهودات أو يسبب بلبلة الشعب المسيحي.

إن التوجيهات التي نقبلها من عقيدة الكنيسة يجب أن تحفزنا على اكتساب المهارات التقنية والعلمية التي لا غنى عنها. كما تحفزنا أيضاً على البحث عن التكوين الأخلاقي للطباع وعلى تعميق الحياة الروحية. هذه العقيدة الكنسية، تزودنا بالمبادئ والنصائح الحكيمة، لا تعفينا من التربية على الحرص السياسي الواجب للمشاركة في الحكم وفي إدارة ما يتعلق بحقائق الحياة الإنسانية.

ثانياً: المتطلبات الإنجيلية للتغيير في العمق

(٨١) ضرورة التحولات الثقافية :

هناك تحدّ غير مسبوق يفرض نفسه اليوم على المسيحيين العاملين على تحقيق حضارة الحب التي يتركز فيها كل الإرث الأخلاقي الثقافي للإنجيل. هذه المهمة تكتسب فكراً جديداً حول ما يؤسس العلاقة بين الوصية العظمى للمحبة والنظام الاجتماعية بكل تعقيداته.

الغاية المباشرة لهذا التفكير في العمق هي تهيئة ووضع برامج عمل شجاعة في سبيل التحرير الاجتماعي الاقتصادي لملايين من الرجال والنساء الذي لا يمكن التهاون في تركهم واقعين تحت القهر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

يجب أن تبدأ برامج العمل هذه بمجهودات جبارة لتربيتهم تربية على حضارة العمل، تربية على التضامن، تربية ليصل الجميع إلى المستوى الثقافي اللازم.

(٨٢) إنجيل العمل :

إن وجود يسوع الناصري، هو بحث (إنجيل للعمل) ويقدم لنا المثال الحي ومبدأ التحول الثقافي الجذري الذي لا يمكن الغنى عنه لحل المشاكل الخطيرة التي يواجهها عصرنا. فهو الذي مع كونه إلهاً، أصبح مشابهاً لنا في كل شيء وأسلم نفسه أثناء الجزء الأكبر من حياته الأرضية إلى عمل يدوي (١٢٣). إن الثقافة التي ينتظرها عصرنا تتكون خصائصها بالاعتراف الكامل لكرامة العمل الإنساني، الذي يظهر نبله وخصوبته بكل جلاء على ضوء أسرار الخلق والفداء (١٢٤). فاعترافنا بالعمل كتعبير عن الشخص، يصبح مصدراً لمعاناة ومصدراً للجهد الخلاق الذي يتطلبه.

(٨٣) حضارة حقيقية للعمل :

هكذا، فإن حل أغلب المشاكل الخطيرة للشقاء البشري نجدها في ترقية حضارة حقيقية للعمل. فالعمل، بشكل ما، هو مفتاح كل المسألة الاجتماعية (١٢٥).

ولذا لابد من أن نعير أولوية اهتمامنا وباقدامنا على مهمة تحريرية في ميدان العمل بكل حرية ولأن العلاقة بين الشخص الإنساني والعمل هي علاقة جذرية وحيوية فإنه من خلال الأشكال والأنماط التي تأخذها هذه العلاقة يمكن أن نرى تأثيراً إيجابياً في سبيل حل مجمل المشاكل الاجتماعية والسياسية التي تقف أمام كل شعب. إن وجود علاقات صحيحة داخل إطار العمل يعتبر صورة مسبقة لنظام اجتماعي سياسي قادر على تشجيع التنمية الشاملة لكل شخص بشري.

فإذا كان نظام علاقات العمل الذي يضعه العمال وأصحاب العمل بالمساندة اللازمة من السلطات العامة ينجح في قيام حضارة للعمل، فإنه سينتج عن ذلك ثورة سليمة في العمق وذلك ابتداء من تغيير نظرة الشعوب للعمل وحتى الوصول إلى تغيير نظرة المؤسسات المختلفة للمجتمع بما فيها المؤسسات السياسية.

(٨٤) المصلحة المشتركة الوطنية والعالمية :

إن ثقافة عمل مثل هذه عملها أن تفترض وتضع في الحسبان بعض القيم الجوهري. عليها أن تعترف بأن شخص العامل هو في حد ذاته مبدأ، فهو فاعل وغاية النشاط في الوقت نفسه، كما إنها يجب أن تؤكد على أولوية العمل على رأس المال وتشير إلى عالمية الخبرات المادية. عليها أن تتحرك من منطلق القيمة التضامنية التي لا تعني فقط مطالبة بالحقوق ولكن أيضاً ضرورة القيام بالواجبات. فهي تفترض المشاركة في هدف ترقية الصالح المشترك الوطني والعالمي وليس فقط في هدف الدفاع عن مصالح شخصية أو معنوية. كما تتمثل منهج المواجهة السليمة والحوار الصريح الثابت.

حينئذ فإن السلطات السياسية ستصبح أكثر قدرة على العمل بروح الاحترام الشرعي لحريات الأشخاص، والعائلات، والمجموعات الاحتياطية، محققة هكذا الظروف الضرورية حتى يصل الإنسان إلى مصلحته الحقيقية والشاملة بما فيها غايته الروحية (١٢٦).

(٨٥) قيمة العمل الإنساني :

إن ثقافة تعترف بالكرامة اللازمة للعامل، ستضع في وضوح البعد الذاتي للعمل (١٢٧). إن قيمة أي عمل بشرى لا تتحدد بنوعية العمل ولكن تتأسس على أن الذي ينفذه هو شخص (١٢٨). يوجد هنا معيار أخلاقي لا يمكن الهروب من متطلباته.

هكذا فإن كل إنسان له الحق في العمل. هذا الحق يجب الاعتراف به من خلال التزام فعلي لحلّ مشكلة البطالة المزمنة. إن البطالة، التي تجعل جزءاً كبيراً من السكان وخاصة الشباب في هامش المجتمع لا يمكن قبولها. من أجل ذلك فإن خلق مواقع للعمل يعتبر مهمة اجتماعية أولية تفرض نفسها على الأشخاص وعلى المبادرة الخاصة كما تفرض نفسها على الدولة أيضاً. في القاعدة العامة، في هذا المجال كما في غيره، فإن الدولة لها وظيفة مساعدة. ولكن مراراً تتم دعوتها في التدخل مباشرة، كما يحدث في الاتفاقات الدولية بين الدول المختلفة. مثل هذه الاتفاقات يجب أن تحترم حقوق المهاجرين وعائلاتهم (١٢٩).

(٨٦) ترقية المشاركة :

إن الأجر الذي لا يمكن اعتباره مجرد بضاعة، يجب أن يسمح للعامل وعائلته بالوصول إلى مستوى معيشي إنساني لائق من النواحي المادية والاجتماعية والثقافية والروحية. إن كرامة الشخص هي التي تعتبر معياراً للحكم على العمل وليس العكس، ومهما كان نوع العمل، على العامل أن يستطيع معيشته كتعبير عن شخصه. من هنا ينشأ الالتزام بالمشاركة، التي تتعدى مقاسمة ثمار العمل، يجب أن تتضمن بعداً جماعياً حقيقياً على مستوى المشروعات والمبادرات والمسئوليات (١٣٠).

(٨٧) أولوية العمل على رأس المال :

القول بأولوية العمل على رأس المال يقتضي بأن أصحاب المشاريع من واجبهم العادل آن يأخذوا في الاعتبار مصلحة العمال قبل التفكير في رفع الفوائد. وأيضاً عليهم التزام أدبي بألا يجعلوا لديهم رؤوس أموال غير منتجة، وعند استثمار هذه الأموال أن يقصدوا أولاً المصلحة العامة. هذه المصلحة تفرض عليهم أن يبحثوا أولاً عن تقوية مواقع جديدة للعمل أو خلقها لانتاج المنتجات المفيدة حقاً. إن حق الملكية الخاصة لا يمكن تصوّره دون تصوّر الواجبات المفروضة على المالك والخاصة بالصالح العام. هذا الحق مرتبط بالمبدأ الأعلى الذي يجعل لهذه الخبرات توجّهاً عالمياً شاملاً.

(٨٨) الإصلاحات في العمق :

هذه العقيدة يجب أن تلهم من يخصهم الأمر بعمل إصلاحات قبل أن يفوت الأوان. إن حصول الجميع على الخيرات المكتسبة، من أجل حياة إنسانية وشخصية وعائلية تليق بالإنسان، شيء أساسي للعدالة الاجتماعية. هذه العقيدة يجب أن تطبق في مجال العمل الصناعي، وبصفة خاصة في مجال العمل الزراعي (١٣٢). فالفلاحون خاصة في العالم الثالث، يشكلون الكتلة الغالبة من الفقراء (١٣٣).

ثالثا: ترقية التضامن

(٨٩) تضامن جديد :

إن التضامن هو مطلب مباشر للأخوّة البشرية والفائقة الطبيعية فالمشاكل الاجتماعية الاقتصادية الخطيرة التي نواجهها اليوم، لا يمكن حلّها إلا إذا وجدت جبهات جديدة للتضامن: تضامن الفقراء فيما بينهم وتضامن العمال مع بعضهم. كذلك على المؤسسات والمنظمات الاجتماعية وعلى مختلف المستويات، وعلى الدولة، أن تشترك في حركة شاملة للتضامن... وعندما تنادي الكنيسة بهذا التضامن، فإنها تعرف وبصفة خاصة أنها أول المعنيين بذلك.

(٩٠) التوجه الشامل والعالمي للممتلكات :

إن مبدأ التوّجه الشامل للممتلكات، مضافاً إليه مبدأ الأخوة الإنسانية والفائقة الطبيعية يمليان ما يجب عمله من جهة البلاد الغنية نحو البلاد الأكثر فقراً. ويتمثل هذا الواجب في التضامن لمساعدة البلاد النامية، ونشر العدالة الاجتماعية. وذلك بالعلاقات التجارية الصحيحة بين الشمال والجنوب وبواسطة ترقية عالم أكثر إنسانية للجميع حيث أن كل شخص يمكن أن يعطي ويأخذ، وحيث لا يصبح تقدم بعض الدول عقبة في تنمية الدول الأخرى أو حجة لاستبعادها (١٣٤).

(٩١) المساعدة على التنمية :

إن التضامن الدولي مطلب أخلاقي. فهو لا يفرض نفسه فقط في حالات الضرورة ولكن يجب أن يتم للمساعدة في التنمية الحقيقية. يوجد هنا عمل مشترك يتطلب مجهوداً حثيثاً ودائماً لإيجاد الحلول التقنية المحسوسة، ولخلق عقلية جديدة عند الناس في عصرنا. فإن سلام العالم متعلق بشكل كبير بهذا التضامن.

رابعاً: مهام ثقافية وتربوية:

(٩٢) حق التعليم والثقافة :

إن اللامساواة التي تتعارض مع عدالة الملكية واستخدام الخيرات المادية، يضاف إليها اللامساواة الغير عادلة في الحصول على الثقافة.. فكل إنسان من حقه الحصول على الثقافة، التي هي الشكل الخاص للوجود الإنساني الحقيقي الذي يصل إليه الشخص بتنمية امكاناته المعرفية، وفضائله الأخلاقية، وقدراته على الاتصال مع من يشبهه من البشر، وتنمية ملكاته في خلق أشياء نافعة وجميلة. من هنا ينشأ مطلب ترقية ونشر التعليم، الذي هو حق من حقوق كل شخص لا يمكن انكاره. أول شرط للوصول إلى ذلك هو القضاء على الأمية (١٣٦).

(٩٣) احترام الحرية والثقافة :

إن حق كل إنسان في الحصول على الثقافة لا يمكن ضمانه إلا إذا كانت الحرية الثقافية مكفولة. في أغلب الأحيان تتحول الثقافة بتشويهها إلى أيديولوچية، ويتحول التعليم إلى آداة في خدمة السلطة السياسية والاقتصادية، إنه ليس من صلاحية السلطة العامة أن تحدد الثقافة. فالسلطة العامة وظيفتها أن ترقي وتحمي الحياة الثقافية للجميع بما فيها الحياة الثقافية للأقليات (١٣٧).

(٩٤) المهمة التربوية للعائلة :

إن المهمة التربوية ترجع أساساً وأولياً إلى العائلة. إن وظيفة الدولة هي المعاونة: دورها هو الضمان والحماية والترقية وسد النقص. وحينما تطالب الدولة بالسيطرة المدرسية فإنها تتعدى حقوقها وتهين العدالة. إنه من حق الأهل أن يختاروا المدرسة التي يبعثون إليها أبناءهم، وأن يوجهوا ويساندوا المراكز التربوية الموافقة لقناعاتهم.

إن الدولة لا يمكنها أن تكتفي فقط بالسماح بالمدارس المسماة بالخاصة دون أن ترتكب ظلماً. فهذه المدارس تؤدي خدمة عامة ومن حقها أن تساعد اقتصادياً (١٣٨).

(٩٥) الحريّات والمشاركة :

إن التربية التي تؤدي إلى الثقافة هي تربية للممارسة المسئولة للحرية أيضاً. لذلك فإنه لا توجد تنمية حقيقة إلا في داخل نظام اجتماعي وسياسي يحترم الحريات ويشجع عليها بمشاركة الجميع. مثل هذه المشاركة يمكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة. وهي ضرورية لضمان تعددية عادلة في المؤسسات وفي المبادرات الاجتماعية.

وهي ضمان أيضاً، بواسطة الفصل الحقيقي بين سلطات الدولة، لممارسة حقوق الإنسان، والحماية ضد أي استغلال ممكن من قبل السلطات العامة. لا يوجد شخص يمكن استبعاده من المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية، سواء لأسباب جنسية، أو عرقية، أو بسبب اللون، أو الظروف الاجتماعية أو اللغة أو الدين (١٣٩). إن جعل الشعب على هامش الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية يشكل في كثير من الأمم ظلماً صارخاً في وقتنا الحاضر. فعندما تنظم السلطات السياسية ممارسة الحريات، لا يمكن أن تأخذ من متطلبات حفظ النظام العام أو حفظ الأمن حجة لتحدّ بشكل منظم من هذه الحريات. فلا المبدأ المسمى "الأمن الوطني" ولا نظرة ضيقة للاقتصاد، ولا تصور شمولي للحياة الاجتماعية يمكن أن تأخذ قيمة أكبر من قيمة الحرية والحقوق التي تفترضها هذه الحرية (١٤٠).

(٩٦) تحدّي التأقلم الثقافي :

إن الإيمان ملهم لمعايير الحكم وللقيم الفاضلة ومبادئ التفكير وأشكال الحياة اللائقة للجماعة الإنسانية نفسها (١٤١). لذلك، فإن الكنيسة المتنبهة لمخاوف عصرنا، تشير إلى الطرق الخاصة بثقافة يكون فيها العمل معترف به في بعده الإنساني الكامل حيث يجد فيه كل إنسان امكانات تحقيق ذاته كشخص. إن الكنيسة تفعل ذلك بحكم انفتاحها الرسولي من أجل الخلاص الشامل للعالم، وذلك في احترام تام لشخصية كل شعب وكل أمّة.

إن الكنيسة، بحضورها في العالم أجمع، توحّد ما بين الاختلاف والوحدة بواسطة أخذها على عاتقها ما هو إيجابي في كل ثقافة. والتأقلم الثقافي ليس هو فقط تأقلم خارجي، لكنه تحول شخصي للقيم الثقافية الحقيقية بالاندماج في المسيحية كما هي تجدر المسيحية في مختلف الثقافات البشرية (١٤٢). إن الفصل بين الإنجيل والثقافة هو مأساة تعكسها المشاكل التي تحدثنا عنها بشكل حزين. إذن فالمجهود السخي لتبشير الثقافات بفرض ذاته علينا. أما الثقافات فلقاؤها بالإنجيل سيجددها. ولكن هذا اللقاء يفترض أن الإنجيل يعلن بشكل حقيقي (١٤٣) إن الكنيسة مستنيرة بالمجمع الفاتيكاني الثاني، تريد أن تكرس ذاتها بكل قواها لهذا الإعلان حتى تثير نفحة تحريرية عظيمة.

خاتمة

(٩٧) نشيد مريم العذراء : تعظيم نفسي الرب :

(طوبى للتي آمنت...) لوقا ١/٤٥. إن أم الله ترد على سلام أليصابات وقلبها يتفجر بنشيد "تعظم نفسي الرب".

فهي تبين لنا إنه بالإيمان وفي الإيمان، وعلى مثالها، يصبح شعب الله قادراً أن يعبر بالكلام ويترجم في حياته سرّ تدبير الله الخلاصي وأبعاده المحررة على المستوى الفردي والاجتماعي. إنه على ضوء الإيمان نحن ندرك أن تاريخ الخلاص هو تاريخ التحرير من الشر تحت شكله الأكثر جذرية. وتاريخ إدخال الإنسانية في الحرية الحقيقية لأبناء الله. فمريم العذراء المرتبطة بالله كلية والمتوجهة إليه بكل إيمانها، تعتبر إلى جانب ابنها، الصورة الكاملة للحرية ولتحرير الإنسانية والكون. إن الكنيسة، التي هي أمها ومثالها، يجب أن تنظر نحوها لكي تفهم معنى رسالتها في كل شمولها.

إنه من العجيب أن معنى إيمان الفقراء، في الوقت الذي يدرك فيه بشكل بارز سرّ الصليب الفادي، يحمل حباً وثقة لا حد لها في أم ابن الله المكرّمة في العديد من المزارات.

(٩٨) (الحس الإيماني) لشعب الله :

إن الرعاة وكل الكهنة والعلمانيين، الرهبان والراهبات العاملين في حقل التبشير والترقية الشاملة للإنسان في ظل ظروف قاسية للغاية يجب أن يمتلئوا بالرجاء، حتى يفكرون في منابع القداسة العجيبة الموجودة في الإيمان الحي لشعب الله. يجب عمل اللازم حتى أن هذا الغنى الموجود في (الحس الإيماني) يستطيع أن يفرح ويعطي ثماراً وافرة. يجب مساعدة إيمان الشعب الفقير، بواسطة التأمل في العمق في خطة الخلاص كما تبدو في عيني العذراء مريم، على أني يعبر عنه بوضوح يوترجم خلال دورة الحياة. هذه مهمة كنسية نبيلة تنتظر اللاهوتي. إن لاهوت الحرية والتحرير يبرز كصدى أمين لنشيد مريم العذراء، ويحفظ في ذاكرة الكنيسة، فيشكل مطلباً لعصرنا. أما أن نلتقط الطاقات الروحية الشعبية لنعمل بها مشروعاً أرضياً محضاً للتحرير فذلك سيتضح مبكراً أنه وهم وسبب لعبوديات جديدة. إن الذين يتركون الباب مفتوحاً لأيديولوچيات العالم وإلى ما يدعون أنه ضرورة استخدام العنف فإنهم ليسوا أمناء على الرجاء ولا على قوته وشجاعته، كما يظهره نشيد مريم الموجه إلى الله الرحوم ومثلما تعلمه لنا العذراء.

(٩٩) أبعاد التحرير الحقيقي :

إن حاسة الإيمان تدرك عمق التحرير الذي أنجزه الفادي، فخلصنا من الشر الجذري ومن الخطيئة ومن سلطان الموت، كي يرد إلى الحرية حريتها وكي يبين لها الطريق. هذا الطريق محدد في الوصية العظمى التي هي وصية المحبة.

إن التحرير في معناه الأولي الخلاصي يتحول إلى مهمّة محرّرة وإلى مطلب خلاقي. هنا تقع العقيدة الاجتماعية للكنيسة التي تضيء الممارسة المسيحية على مستوى المجتمع.

إن المسيحي مدعو للعمل بحسب الحقيقة (١٤٤). وأن يكد لإنشاء (حضارة الحب) التي تحدث عنها بولس السادس (١٤٥). إن الوثيقة الحاضرة، دون أن تدعي أنها كاملة، أشارت إلى بعض التوجيهات حيث يجب الشروع عاجلاً في اصلاحات في العمق. إن المهمّة الأولى التي تشترط نجاح بقية المهام هي مهمة تربوية. إن الحب الذي يقود الالتزام بحب منذ الآن أن يولّد تضامنات جديدة بالإضافة إلى هذه المهام التي تفرض نفسها بشكل عاجل على الضمير المسيحي، كل الناس ذوي الإرادة الحسنة مدعوون إليها.

إنها حقيقة سرّ الخلاص العامل اليوم في التاريخ ليقود الإنسانية المشتراه بدم المسيح إلى كمال الملكوت، الذي يعطي بدوره للمجهودات الضرورية للتحرير، على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، معناها الحقيقي والذي يحميها من النزول إلى هاوية العبوديات الجديدة.

(١٠٠) المهمّة التي أمامنا :

من الحق أن نقول بأنه أمام ضخامة المهمّة وتعقيدها، الذي بتطلب التضحية بالذات بشجاعة نادرة، فإن كثيرين يمكنهم السقوط في تجربة فقدان العزيمة أو الشك أو الإقدام على مغامرة يائسة. إن هناك تحدياً جباراً أمام رجائنا الإلهي والإنساني. إن عذراء النشيد الحليمة، التي تحتضن الكنيسة والإنسانية بصلواتها، هي المسند الثابت لرجائنا، ففيها نتأمل انتصار الحب الإلهي الذي لا يعيقه أي حاجز ونكتشف فيها إلى أي درجة من الحرية السامية يرفع الله الضعفاء. فعلى الطريق الذي سلكته هي، يجب أن يتقدم بقوة دافعة الإيمان العامل بالمحبة (١٤٦).

في أثناء لقاء خُصص لمحافظ نظام الكنيسة الموقع أدناه، صدّق البابا يوحنا بولس الثاني على هذه الوثيقة التي تبناها مجمع عقيدة الإيمان في اجتماع عادي وأمر بنشرها.

روما في مقر مجمع العقيدة الإيمانية في ٢٢ مارس ١٩٨٦ في عيد البشارة.

توقيع

الكاردينال راتسينجر

محافظ نظام الكنيسة

البير توبوفون

المراجع

١- مؤتمر عقيدة الإيمان تعليم حول بعض أوجه اللاهوت التحريري (*Libertatis Nuntius*) بتقديم AAS 76 (1984), 876 -877. Dc 1984, n° 1881, p. 890.

٢- راجع الدستور الرعوي (*Gaudium et Spes*) واعلان (*Dignitatis Humanae*) للمجمع الفاتيكاني الثاني والمنشورات البابوية الخاصة بـ *Mater et Magistra*, *Pacem in Terris*, *Populorum progressio*, *Redemptor Hominis* et *Reconciliatio et Paenitentia*; la lettre apostolique "*Octogesima Adveniens*"

وقد عالج يوحنا بولس الثاني هذا الموضوع في خطابه الافتتاحي في المؤتمر الثالث لمجلس أساقفة أمريكا اللاتينية في بويبلا: راجع AAS 71 (1979, p. 187 - 205. DC 1979 n° 1758, p. 164 -172.

وقد رجع إلى الموضوع نفسه في مناسبات عديدة وعولج أيضاً الموضوع في سينودس الأساقفة في عام ١٩٧١ وعام ١٩٧٤. وكان محل دراسة مؤتمر أساقفة أمريكا اللاتينية. كما جذب انتباه أساقفة فرنسا الذين درسوه تحت عنوان (تحرير البشر والخلاص في سيدنا يسوع المسيح) عام ١٩٧٥.

٣- بولس الســادس Lettre ap. "*Octogesima adveniens*" N. 1 - 4 AAS 63 (1791). p. 401 - 404.

٤- راجع يوحنا ٢ ٤٢، ١ يوحنا ٤ ١٤

٥- راجع متى ٢٨ ٢٨ - ٣٠ مرقس ١٦ ١٥

٦- Cf. Décl. *Dignitatis Humanae*, n° 10

٧- Cf. Paul VI. Exhort. ap. *Evangelii Nuntiandi* n. 78 - 80: AAS 68 (1976) p. 70 - 75; Décl. *Dignitatis Humanae*, n° 3: Jean-Paul II, Encycl. *Redemptor Hominis*, n° 12: AAS 71 (1979), p. 278-281.

٨- Cf. Instr. *Libertatis Nuntius*, XI, 10: AAS 76 (1984). p. 905 - 906.

٩- Cf. Jean-Paul II, Encycl. *Redemptor Hominis*, n°17: AAS 71 (1979), p. 296 - 297; Déclaration du 10 mars 1984 au 5e Colloque des juristes, L'Osservatore Romano, 11 mars 1984, p. 8. DC 1984, n° 1874, p. 510 - 511.

١٠- Cf. Instr. *Libertatis Nuntius*, XI, 5: AAS 76 (1984). p. 904; Jean-Paul II, Discours inaugural de Puebla: AAS 71 (1979), p. 189.

١١- Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 36

١٢- Cf. *ibid.*

١٣- Cf. *loc. cit.* n° 41

١٤- راجع متى ١١: ٢٥، لوقا ١٠: ٢١

١٥- of. Paul VI, Exhort. ap. *Evangelii Nuntiandi* n° 48: AAS 68 (1976), p. 37 - 38.

١٦- Cf. Instr. *Libertatis Nuntius*, VII, 9; VIII, 1-9, AAS 76 (1984), p. 892; 894 - 895.

١٧- راجع تكوين ١: ٢٦

١٨- Cf. Jean-Paul II, Enycl. *Redemptor Hominis*, N° 21: AAS 71 (1979),p. 316.

١٩- Cf. Rm 6: 6; 7: 23

٢٠- Cf. Gn 2:18. 23: "Il n'est pas bon que l'homme soit seul"... "celle-ci est chair de ma chair et os de mes os": dans ces paroles de l'Ecriture, qui visent directement le rapport entre homme et femme, on peut reconnaître une portée plus universelle. Cf. Lv. 19:18.

٢١- Cf. Jean XXIII, Encycl. *Pacem in Terris*, n° 5 - 15: AAS 55 (1963), p. 259 - 265; Jean-Paul II, lettre à M. Waldheim, secrétaire général des Nations Unies, à l'occasion du 30e anniversaire de la "Déclaration universelle des droits de l'homme" AAS 71 (1979), p. 122; DC 1979, n° 1755, p.1-3.

Discours pontifical à l'ONU, n° 9: AAS 71 (1979), p. 1149. DC 1979, n° 1772, p. 872 - 879.

٢٢- Cf. S. Augustin: *Ad Macedonium* II, 7-17 (PL 33, 669 - 673, CSEL 44, 437 - 447).

٢٣- راجع التكوين ١: ٢٧ – ٢٨

٢٤- Cf. Jean-Paul II, Enycl. *Redemptor Hominis*, n° 15: AAS 71 (1979), p. 286.

٢٥- Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 13, 1

٢٦- of. Jean-Paul II, Exhort. ap. *Reconciliatio et Paenitentia*, n° 13: AAS 77 (1985), p. 208 - 211.

٢٧- راجع تكوين ٣: ١٦ – ١٩، رومة ٥: ١٢، ٧: ١٤ – ٢٤

Paul VI; *Sollemnis Professio Fidei*, 30 juin 1968, n° 16: AAS 60 (1968), p. 439. DC 1968, col. 1249 - 1258.

٢٨- راجع رومة ١: ١٨ – ٣٢

٢٩- راجع ارميا ٥: ٢٣، ٧: ٢٤، ١٧: ٩، ١٨: ١٢

٣٠- Cf. S. Augustin: *De Civitate Dei*, XIV, 28 (PL 41, 435; CSEL 40/2, 56 - 57; CCL 14/2, 451 - 452).

٣١- Cf. Instr. *Libertatis Nuntius*, avant-propos: AAS 76 (1984), p. 876.

٣٢- راجع اشعيا ٤١: ١٤، ارميا ٥٠: ٣٤

"Goël": ce mot implique l'idée d'un lien de parenté entre celui qui libère et celui qui est libéré; راجع لاويين ٢٥: ٢٥، ٤٧ – ٤٩

"Padah" signifie "acquérir pour soi"; راعوت ٣: ١٢، ٤: ١

راجع خروج ١٣: ١٣، تثنية ٩: ٢٦، ١٥: ١٥، مزمور ١٣٠: ٧ – ٨

٢٣- راجع تكوين ١٢: ١ – ٣

٢٤- Cf. Instr. *Libertatis Nuntius*, IV, 3 : ASS 76 (1984) p.882

٢٥- راجع تثنية ٦: ٥

٢٦- راجع لاويين ١٩: ١٨

٢٧- راجع تثنية ١: ١٦ – ١٧، ١٦: ١٨ – ٢٠، أرميا ٢٢: ٣ – ١٥، ٢٣: ٥، مزمور ٣٣: ٥، ٧٢: ١، ٩٩: ٤

٢٨- راجع خروج ٢٢: ٢٠ – ٢٣، تثنية ٢٤: ١٠ – ٢٢

٢٩- راجع أرميا ٣١: ٣١ – ٣٤، خروج ٣٦: ٢٥ – ٢٧

٤٠- راجع أشعيا ١١: ١ – ٥، مزمور ٧٢: ٤ و١٢ – ١٤

Instr. *Libertatis Nuntius*, IV, 6: ASS 76 (1984), p. 883.

٤١- راجع خروج ٢٣: ٩، تثنية ٢٤: ١٧ – ٢٢

٤٢- راجع مزمور ٢٥، ٣١، ٣٥، ٥٥

Instr. *Libertatis Nuntius*, IV, 5: ASS 76 (1984), p. 883.

٤٣- راجع أرميا ١١: ٢٠، ٢٠: ١٢

٤٤- راجع مزمور ٧٣: ٢٦ – ٢٨

٤٥- راجع مزمور ١٦، ٦٢، ٨٤

٤٦- راجع صفنيا: ٣: ١٢ - ٢٠

Instr. *Libertatis Nuntius*, IV, 5: ASS 76 (1984), p. 883.

٤٧- راجع لوقا ١: ٤٦ - ٥٥

٤٨- Cf. Paul VI, Exhort. ap. *Marialis Cultus*, n° 37: AAS 66 (1974), p. 148 - 149. DC 1974, n° 1651, p. 301 - 319.

٤٩- راجع أعمال ٢: ٣٩، رومية ١٠: ١٢، ١٥: ٧ - ١٢، أفسس ٢: ١٤ - ١٨

٥٠- راجع مرقس ١: ١٥

٥١- راجع أشعيا ٦١: ٩

٥٢- راجع ٢ كورنتس ٨: ٩

٥٣- راجع متى ٢٥: ٣١ - ٤٦، أعمال ٩: ٤ - ٥

٥٤- Cf. Instr. *Libertatis Nuntius*, IV, 9, AAS 76 (1984), 884

٥٥- Cf. Jean-Paul II, Discours inaugural de Puebla, I, 5: AAS 71 (1979), p. 191

٥٦- راجع رومة ٥: ١٠، ٢ كورنتس ٥: ١٨ - ٢٠

٥٧- راجع يوحنا ١٤: ٢٧

٥٨- راجع متى ٥: ٩، رومة ١٢: ١٨، عبرانيين ١٢: ١٤

٥٩- راجع ١ كورنتس ١٥/٢٦

٦٠- راجع يوحنا ١٢: ٣١، عبرانيين ٢: ١٤ - ١٥

٦١- راجع أفسس ٦. ١١ - ١٧

٦٢- راجع رومة ٨: ٣٧ - ٣٩

٦٣- راجع رومة ٨: ٢

٦٤- راجع ١ تيموتاوس ١: ٨

٦٥- راجع رومة ١٣: ٨ - ١٠

٦٦- راجع رومة ١٣: ١ - ٧

٦٧- راجع رومة ٨: ٢ - ٤

٦٨- راجع رومة ١٣: ١

٦٩- راجع رومة ١٣: ٨ - ١٠، غلاطية ٥: ١٣ - ١٤

٧٠- راجع متى ٥ ٤٣ - ٤٨، لوقا ٦: ٢٧ - ٣٨

٧١- راجع لوقا ١٠: ٢٥ - ٣٧

٧٢- راجع مثلاً ١ تسالونيكي ٢: ٧ - ١٢، فيلبي ٢: ١ - ٤، غلاطية ٢: ١٢ - ٢٠، ١ كورنتس ١٣. ٤ - ٧، ٢ يوحنا ١٢، ٣ يوحنا ١٤، يوحنا ١١: ١ - ٥ و٣٥ - ٣٦، مرقس ٦ ٣٤، متى ٩. ٣٦، ١٨ ٢١ وما بعدها.

٧٣- راجع يوحنا ١٥: ١٢ - ١٣، ١ يوحنا ٣: ١٦

٧٤- راجع يعقوب ٥: ١ - ٤

٧٥- راجع ١ يوحنا ٣٠ ١٧

٧٦- راجع ١ كورنتس ١١٠ ١٧ - ٣٤

Cf. Instr. *Libertatis Nuntius*, IV, 11: AAS 76 (1984), p. 884, Saint Paul lui-même organise une collecte en faveur des "pauvres parmi les saints de Jérusalem".

٧٧- راجع رومه ٨ ١١ - ٢١

٧٨- راجع ٢ كورنتس ١: ٢٢

٧٩- راجع غلاطية ٤ ٢٦

٨٠- راجع ١ كورنس ١٣ ١٢، ٢ كورنتس ٥ ١٠

٨١- راجع ١ يوحنا ٣ ٢

٨٢- Cf. Const. past. *Gaudium et Spes* n° 39,2

٨٣- *ibid.* n° 39, 3

٨٤- راجع متى ٢٤: ٢٩ - ٤٤ و٤٦، أعمال ١٠ ٤٢، ٢ كورنتس ٥ ١٠

٨٥- Cf. Const. past. *Gaudium et Spes* n° 42:2

٨٦- راجع يوحنا ١٧: ٣

٨٧- راجع رومة ٦: ٤، ٢ كورنتس ٥ ١٧، كولوسي ٣. ٩ - ١١

٨٨- Cf. Paul VI, Exhort. ap. *Evangelii Nuntiandi*, n° 18 et 20; AAS 68 (1976), p. 17 et 19.

٨٩- راجع متى ٥ ٣

٩٠- Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 37

٩١- Cf. Const. dogm. *Lumen Gentium*, n°17; Déc. *Ad Gentes*, n° 1; Paul VI, Exhort. ap. *Evangelii Nuntiandi*, n°14; AAS 68 (1976), p. 13.

٩٢- Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 40, 3

٩٣- Cf. Jean-Paul II, Exhort. ap. *Reconciliatio et Paenitentia*, n° 14 : AAS 77 (1985), p. 211 - 212.

٩٤- Cf. Inst. *Libertatis Nuntius*, XI: AAS 76 (1984), p. 901

٩٥- راجع ٢ كورنتس ٨ ٩

٩٦- راجع لوقا ٢ ٧، ٩ ٥٨

٩٧- راجع متى ٦ ١٩ - ٢٠ و٢٤ - ٢٤، ١٩ ٢١

٩٨- راجع لوقا ٥ ١١ و٢٨، متى ١٩ ٢٧

٩٩- راجع اشعيا ١١ ٤، ٦١ ١، لوقا ٤ ١٨

١٠٠- راجع مرقس ٢ ١٣ - ١٧، لوقا ١٩: ١ - ١٠

١٠١- راجع متى ٨ ٦، ١٤ ١٣ - ٢١، يوحنا ١٢ ٢٩

١٠٢- راجع متى ٨ ١٧

١٠٣- Cf. Paul VI, Encycl. *Populorum Progressio*, n° 12 et 46: AAS 59 (1967), p. 262 - 263 et 280; Document de la 3° conférence de l'épiscopat latino- américain à Puebla, n° 476.

١٠٤- راجع أعمال ٢ ٤٤ - ٤٥

١٠٥- Cf. 2° Synode extr. *Relatio Finalis*, II, C, 6: l'Osservatore Romano, 10 décembre 1985, p. 7; DC 1968, n° 1909, p. 36 - 45; Paul VI, Exhort. ap. *Evangelii Nuntiandi*, n° 58: AAS 68 (1976), p. 46 - 49; Jean-Paul II, *Messagem às comunidades de base*, remise à Manaus, 10 juillet 1980; Dc 1980, n° 1793 p. 866 - 868.

١٠٦- راجع متى ٢٢ ٣٧ - ٤٠، رومه ١٢. ٨ - ١٠

Cf. Paul VI, lettre ap. *Octogesima Adveniens*, n° 4: -١٠٧ AAS 63 (1971), p. 403 - 404; Jean-Paul II, Discours inaugural de Puebla, III, 7: AAS 71 (1979), p. 203.

Cf. Jean XXIII, Encycl. *Mater et Magistra*, n° 235: -١٠٨ AAS 53 (1961), p. 461.

Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 25 -١٠٩

Cf. Jean XXIII, Encycl. *Mater et Magistra*, n° 132-133: -١١٠ AAS 53 (1961), p. 437.

Cf. Pie XI, Encycl. *Quadragesimo Anno*, n° 79 - 80: -١١١ AAS 23 (1931), p. 203; Jean XXIII, Encycl. *Mater et Magistra* n° 138: AAS 53 (1961), p. 439; Encycl. *Pacem in Terris*, n° 74: AAS 55 (1963), p. 294 - 295.

Cf. Paul VI, Exhort. ap. *Evangelii Nuntiandi*, n° 18: -١١٢ ASS 68 (1976), p. 17 - 18. Instr. *Libertatis Nuntius*, XI, 9: AAS 76 (1984), p. 901.

Cf. Jean-Paul II, Exhort. ap. *Reconciliatio et Paeniten-* -١١٣ *tia*, n° 16: AAS 77 (1985), p. 213 - 217.

Cf. Paul VI, lettre ap. *Octogesima Adveniens*, n° 25: -١١٤ AAS 63 (1971), p. 419 - 420.

Cf. Jean-Paul II, Encycl. *Laborem Exercens*, n° 20: -١١٥ ASS 73 (1981), p. 629 - 632; Instr. *Libertatis Nuntius*, VII, 8:

VIII, 5-9; XI, 11 - 14: AAS 76 (1984), p. 891 - 892; 894 - 895; 901 - 902.

١١٦- راجع متى ٥: ٤٤، لوقا ٦: ٢٧ - ٢٨ و٣٥

١١٧- Cf. Instr. *Libertatis Nuntius*, XI, 10: AAS 76 (1984), p. 905-906.

١١٨- Cf. Document de la 3° conférence de l'épiscopat latino-américain à Puebla, n° 533-534; Jean-Paul II, Homélie à Drogheda, 30 septembre 1979: AAS 71 (1979), p. 1076-1085. DC 1979,n° 1772, p. 851-885.

١١٩- Cf. Paul VI, Encycl. *Populorum Progressio*, n° 31 : AAS 59 (1967), p. 272-273; cf. Pie XI, Encycl. Nos es muy conocida: AAS 29 (1937), p. 208-209. DC 1937, tome 37, n° . 837-838, col. 985-997.

١٢٠- Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 76, 3; Décr. Apostolicam actuositatem, n° 7.

١٢١- Cf. *loc. cit.* n° 20

١٢٢- Cf. *loc. cit.* n° 5

١٢٣- Cf. Jean-Paul II, Encycl. *Laborem Exercens*, n° 6: AAS 73 (1981), p. 589-592.

١٢٤- Cf. *loc. cit.*, ch. V: *ibid.*, p. 637-647

١٢٥- Cf. Cf. *loc. cit.* n° 3 : *ibid.*, p. 583-584; Allocution à Lo-

reto du 10 mai 1985: AAS 77 (1985), p. 967-969. DC 1985, n° . 1896, p. 526-532.

Cf. Paul VI, lettre ap. *Octogesima Adveniens*, n° 46: -١٢٦ AAS 63 (1971), p. 633-635.

Cf. Jean-Paul II, Encycl. *Laborem Exercens*, n° 6 AAS -١٢٧ 73 (1981), p. 589-592.

Cf. *ibid.* -١٢٨

Cf. Jean-Paul II, Exhort. ap. *Familiaris Consortio*, n° -١٢٩ 46: AAS 74 (1982), p. 137-139; Encycl. *Laborem Exercens*, 23: AAS 73 (1981), p. 635-637; cf. la "charte des droits de la famille" présentée par le Saint-Siège, art: 12, L'Osservatore Romano, 25 novembre 1983. DC 1983, n° 1864, p. 1153-1157.

Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 68; Jean-Paul II, -١٣٠ Encycl. *Laborem Exercens*, n° 15: AAS 73 (1981), p. 616-618: Discours du 3 juillet 1980: L'Osservatore Romano,5 juillet 1980, p. 1-2. DC 1980, n° 1791, p. 760-764.

Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 69; Jean-Paul II, -١٣١ Encycl. *Laborem Exercens*, n° 12 et 14; AAS 73 (1981), p. 605-608, 612-616.

Cf. Pie XI, Encycl. *Quadragesimo Anno*, n° 72: AAS -١٣٢ 23 (1931), p. 200; Jean-Paul II, Encycl. *Laborem Exercens*, n° 19: AAS 73 (1981), p. 625-629.

Cf. Document de la 2e conférence de l'Episcopat lati- -١٢٣ no-américain à Medellin, Justice, I,9;Document de la 3e Conférence de L'Episcopat latino-américain à Puebla, n° 31, 35, 1245.

Cf. Jean XXIII, Encycl. *Mater et Magistra*, n° 163: -١٢٤ AAS 53 (1961), p. 443; Paul VI, Encycl. *Populorum Progressio*, n° 51: AAS 59 (1967), p. 282; Jean- Paul II, Discours au corps diplomatique, du 11 janvier 1986: L'Osservatore Romano, 12 janvier 1986, p. 4-5. DC 1986, n° 1912, p. 198-204.

Cf. Paul VI, Encycl. *Populorum Progressio*, n° 55: -١٢٥ AAS 59 (1967), p. 284.

Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 60: Jean-Paul II, -١٢٦ Discours à l'UNESCO du 2 juin 1980, n° 8: AAS 72 (1980), p. 739-740.

Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 59. -١٢٧

Cf. Décl. *Gravissimum Educationis*, n° 3 et 6. Pie XI, -١٢٨ Encycl. *Divini Illius Magistri*, n° 28, 38, 66: AAS 22 (1930), p. 59, 63 et 68. Cf. la "charte des droits de la famille" présentée par le Saint-Siège, art. 5 : L'Osservatore Romano, 25 novembre 1983.

Cf. Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 29; Jean XXIII, -١٢٩ Encycl. *Pacem in Terris*, n° 73-74 et 79: AAS 55 (1963), p. 294-296.

١٤٠- Cf. Décl. *Dignitatis Humanae*, n° 7; Const. past. *Gaudium et Spes*, n° 75; Document de la 3e Conférence de L'Episcopat latino-américain à Puebla, n° 311-314, 317-318, 548.

١٤١- Cf. Paul VI, Exhort. ap. *Evangelii Nuntiandi*, n° 20: AAS 68 (1976), p. 18.

١٤٢- Cf. 2. Synode extr. *Relatio Finalis*, II, D, 4: L'Osservatore Romano, 10 décembre 1985, p. 7.

١٤٣- Cf. Paul VI, Exhort. ap. *Evangelii Nuntiandi*, n° 20: AAS 68 (1976), p. 18 - 19.

١٤٤- راجع يوحنا ٣ ٢١

١٤٥- Cf. Paul VI, audience générale du 31 décembre 1975: L'Osservatore Romano, 1er Janvier 1976, p. 1. DC 1976 n° 1691, p. 101-102. Jean-Paul II a repris cette idée dans le discours au "Meeting par l'amicizia dei popoli" du 29 août 1982: L'Osservatore Romano, 30-31 août 1982. DC 1982, n° 1837, p. 851-853. Les évèques latino- américains l'ont également évoquée dans le *Message aux peuples d'Amérique-latine*, n° 8. DC 1979, n° 1759, p. 221-224, et dans le Document de Puebla, n° 1188 et 1192.

١٤٦- راجع غلاطية ٥ ٦

فهرست

تعليم من (مجمع العقيدة الإيمانية)
الحق يحررنا

المقدمة:

الفصل الأول: موقع الحرية في عالم اليوم

أولاً: إيجابيات الاجراءات الحديثة للتحرير وسلبياتها التهديدية:

ثانياً: الحرية والتحرير

ثالثاً: الحرية والمجتمع الإنساني:

رابعاً: حرية الإنسان والسيطرة على الطبيعة:

خامساً: الخطيئة مصدر للانقسام والقهر:

الفصل الثالث: التحرير والحرية المسيحية

الفصل الرابع: الرسالة المحررة للكنيسة

الفصل الخامس: العقيدة الاجتماعية للكنيسة: من أجل ممارسة تحرير مسيحية

ثالثاً: ترقية التضامن:

رابعاً: مهام ثقافية وتربوية

طبع لدى

الاتحاد لطباعة الأوفست

٢٠٧ شارع الخليل إبراهيم متفرع من مصطفى حافظ - عرب الجسر - عين شمس

ت :٢٩٨٩٠٨

"لاهوت التحرير" تيار يتبناه بعض المفكرين من رجال الكنيسة فى أمريكا اللاتينية.

وقد ظهر هذا التيار اللاهوتى عام ١٩٦٨ واتخذ أهمية كبيرة فى السنوات الأخيرة.

وتميز هذا اللاهوت منذ بدايته بأنه أثار جدلاً واسعاً حوله، داخل الكنيسة وخارجها، نظراً لتأثره بالاتجاهات الماركسية وارتباطه بالظروف السياسية والاقتصادية الصعبة التى تعيشها قارة أمريكا اللاتينية.

ونظراً لأننا ننتمى إلى العالم الثالث مثل أمريكا اللاتينية، كما أننا ننتمى إلى الكنيسة الجامعة، فلابد لنا أن نتعرف إلى التعليم الرسمى للكنيسة الكاثوليكية فى مثل هذه المسألة الهامة وهى مسألة (التحرر والتحرير).

مطبوعات الآباء اليسوعيين - الفجالة